جذور الوثنية

وأثرها

على الأديان والفرق والمذاهب

تأليف/ وضاح بن محمد مساعد

جذور الوثنية

وأثرها

على الأديان والفرق والمذاهب

تأليف/ وضاح بن محمد مساعد

ح وضاح محمد مساعد علي، ١٤٤٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

مساعد، وضاح محمد

جذور الوثنية وأثرها على الأديان والفرق والمذاهب. / وضاح محمد مساعد – ط١.
– الرياض، ١٤٤٦ هـ

١٨٥ص؛ ١٤×٢١ سم

ردمك: ٦-٦-٤٩٥٦-٠٥-٦٠٣-٩٧٨

١- الديانات أ. العنوان

ديوي ٢٠٠,٣ ١٤٤٦/١٤٥٠١

رقم الإيداع: ١٤٤٦/١٤٥٠١

ردمك: ٦-٦-٤٩٥٦-٠٥-٦٠٣-٩٧٨

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيّئات أعمالنا، من يهده الله؛ فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل؛ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد،

فإن في معرفة مسيرة الأمم السابقة واستبانة سبيلهم، ودراسة عقائدهم وأفكارهم، ما يعين في دعوة أتباعهم، ورد شبهاتهم الموجهة إلى الإسلام، ولقد حكى لنا القرآن الكريم حقيقة هذه الخليقة، وكيف بدأ خلق آدم من تراب، ونشأة عداوة

إبليس لآدم وذريته وتوعده بإضلالهم، وبعثة نبي الله نوح وما جرى من أمر الطوفان، وتتابع الأنبياء والرسل إلى أقوامهم بعد ذلك، وضَرَبَ لنا الأمثال، وقصَّ علينا القصص، وطوى عنا كثيرا من أخبار الأمم التي عاشت في الماضي السحيق، لغاية اقتضتها الحكمة الإلهية. وهذه الحقيقة يزداد الإنسان فرحا بها كلما قرأ في أخبار الأمم الغابرة، وكيف صار أتباعهم ينسجون حولها الأساطير، ويبحثون جاهدين في النقوش والآثار كي يكملوا الفراغ الموجود في تاريخ أديان أسلافهم، ليخرجوا لنا أديان ذات عقائد منحرفة، وخرافات وأباطيل تأباها الفطر السليمة، فضلا عن القلوب المؤمنة. خرافات وأباطيل ظلت تتوارث عبر العصور، وتتسرب إلى غيرها من الأديان، وأخذت بها بعض الطوائف المنتسبة للإسلام ما بين مقلٍّ ومستكثر.

وقابل ذلك ظهور المدارس الفلسفية، التي ابتعدت عن الاعتراف بذلك كله، وصارت تجعل لها تفسيرات لفهم هذا الكون المنظور، وتحليلات للظواهر العلمية والنفسية والاقتصادية والاجتماعية بطريقة لم يكن لفكرة الخالق أي دور فيها، أما الأديان في نظرهم فهي مجرد ظاهرة اجتماعية تتشكل وتتطور حسب المجتمعات.

وقد ذهب الناس يؤلفون في علم الأديان والفرق وكيف نشأت وتبلورت حتى انتهت إلى ما هي عليه، وتعددت المصادر والمراجع في القديم والحديث، وربما حار البعض من كثرتها واختلاف مناهجها، بدءاً بما كُتب قديما، مرورا بالمصنفات التي اقتصرت على عرض مقالات الفرق الإسلامية فقط[1]، أو المصنفات التي عرضت الملل

[1] من أمثلة ذلك "مقالات الإسلاميين" لأبي الحسن الأشعري، و"الفرق بين الفرق" لعبد القاهر البغدادي.

والمذاهب الأخرى إضافة إلى الفرق الإسلامية[١]، وانتهاءً بما وصل إليه هذا العلم في العصر الحديث[٢]، الأمر الذي حداني إلى أن أُقرِّب هذه المادة لطلبة العلم والمهتمين، بعرضٍ موجزٍ يقرر وجود النبوة في الآدميين من عهد آدم عليه السلام وطروء الشرك على الأمم، وبأسلوب يظهر أثر الوثنية على من جاء بعدها من الملل والنحل والفرق، مع التعريج على وجود المصلحين على مر التاريخ، وأثر حركة الإصلاح الديني في الغرب على العالم الإسلامي، وبالكلام على الإلحاد في القديم والحديث اختتمتُ هذا الكتاب والذي سميته" جذور الوثنية وأثرها على الأديان والفرق والمذاهب".

---

[١] من أمثلة ذلك "الفصل في الملل والأهواء والنحل" لابن حزم الأندلسي، و "الملل والنحل" للشهرستاني.

[٢] ومن أفضل ما وقفت عليه هو الرسائل العلمية المنشورة عناوينها في موقع "الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب". بالإضافة إلى المصادر التي اعتمدت عليها تلك الرسائل العلمية.

حاولت أن أجعل الكتاب متصلا بعنوانه، والفصول منسجمة مع بعضها، والمباحث آخذاً بعضها بحجز بعض، مقتصرا على ما بدا لي أنه يفي بالغرض المقصود، فرجعت إلى الجهود المبذولة في تحقيق ذلك، والتي كثيرا منها مستنَدهُ أوهن من بيت العنكبوت، محاولا أن أنسج من هذه الخيوط القدر الذي ينسجم مع ما قرره القرآن الكريم والسنة المطهرة، مغرِّداً خارج سرب مليءٍ بأخبار أممٍ غابرة دون إثباتها خرط القتاد.

وضاح بن محمد مساعد

wadah2891@gmail.com

الفصل الأول

- نبوة آدم عليه السلام
- التوحيد في أديان بلاد الرافدين
- دلائل وجود التوحيد في عقائد الفرس
- دلائل وجود التوحيد في معتقدات قدماء الهنود
- دلائل وجود التوحيد في معتقدات قدماء الصين
- دلائل وجود التوحيد في الديانات المصرية القديمة
- دلائل وجود التوحيد في معتقدات قدماء اليونان
- وجود التوحيد عند العرب قبل الإسلام في الجزيرة العربية

لم تخلُ معتقدات الأمم الوثنية القديمة من بقايا دعوة الأنبياء الذين بُعثوا في أسلافهم أو انتقلت إليهم على مر القرون، فظهرت في أشكال متنوعة وطقوس مختلطة وفلسفات لا تخلو من دلائل وجود التوحيد في تلك المعتقدات، مثل الحديث عن وجود الرب الأعلى في السماء، واسم الإله الخالق، وأن أوّل ما خلق الله من البشر رجل خلق منه زوجه ومنهما تكاثرت البشرية، والخروج من الجنة، وقصة الطوفان، وغير ذلك من المعتقدات التي توحي بأن أصحابها لا يمكن أن تكون بلغتهم تلك المعتقدات بدون معونة من الوحي أو اقتباس من ديانة موحى بها، قبل أن تطغى عليهم تلك الوثنيات بعد ذلك.

نبوة آدم عليه السلام

النبوة في الآدميين هي من عهد آدم عليه السلام فإنه كان نبيّا وكان بنوه يعلمون نبوته وأحواله بالاضطرار[١]. وعن أبي أمامة، أن رجلا، قال: يا رسول الله أنبي كان آدم؟ قال: «نعم، مكلم»، قال: فكم كان بينه وبين نوح؟ قال: «عشرة قرون»[٢]. فآدمَ كان هو النبيَّ أيام حياته بعد أن أُهبط إلى الأرض، والرسولَ من الله جل ثناؤه إلى ولده[٣]، اصطفاه الله تعالى بالإيجاد والرسالة إلى بنيه والنبوة والتكليم[٤]. قال الله تعالى: ﴿۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ

[١] شرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية (ص: ١٤٢).

[٢] صحيح ابن حبان - محققا (٦١٩٠).

[٣] تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (١/ ٥٥٠).

[٤] تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٤٢٢).

جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٩ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝٣٠﴾ [المائدة: ٢٧-٣٠] فهذه الآيات تدل على أن أولاد ادم عليه السلام كانوا على رسالة وشريعة ومنهج وهداية من الله سبحانه وتعالى، فهم كانوا يعبدون الله سبحانه وتعالى، وكانوا يتقدمون إليه سبحانه بالقرابين، وكانوا يعرفون أهمية الخوف من الله والاخلاص له سبحانه وتعالى، وأنه هو وحده المستحق للعبادة، وأنه سبحانه لا يتقبل إلا من أهل التقوى والإخلاص، وكانوا يعلمون أن هناك ثوابا وعقابا من الله سبحانه وتعالى، وأن الظالمين لهم عذاب النار، فهذا كله يشعر بنبوة آدم عليه السلام وأن الله سبحانه وتعالى أوحى ذلك كله إليه وعن طريقه علم ابناءه هذه الامور المهمة المتعلقة بالعقيدة والأخلاق الفاضلة[1].

قال عطاء الخراساني: لما مات آدم عليه السلام قام بأعباء الأمر بعده ولده شيث عليه السلام، فلما حانت وفاته

---

[1] المسائل العقدية المتعلقة بآدم عليه السلام- ألطاف الرحمن بن ثناء الله (ص:٧٠٦).

أوصى إلى ابنه أنوش فقام بالأمر بعده، ثم بعده ولده قينن، ثم من بعده ابنه مهلاييل[1]، فلما مات قام بالأمر بعده ولده يرد، فلما حضرته الوفاة أوصى إلى ولده خنوخ وهو إدريس عليه السلام على المشهور وهو خنوخ وكان أول بني آدم أعطي النبوة بعد آدم وشيث عليهما السلام[2].

فبعثة آدم عليه السلام بالتوحيد وبث المعتقدات في بنيه مع نصب الأدلة الدالة على الصانع مع سلامة الفطر يوجب على كل أحد من العالم الإيمان واتباع شريعة الله، ثم تجدد ذلك في مدة نوح عليه السلام بعد غرق الكفار[3]، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «كان بين نوح وآدم

---

[1] وهو الذي يزعم الأعاجم من الفرس أنه ملك الأقاليم السبعة وأنه أول من قطع الأشجار وبنى المدائن والحصون الكبار وأنه هو الذي بنى مدينة بابل ومدينة السوس الأقصى وأنه قهر إبليس وجنوده وشردهم عن الأرض إلى أطرافها وشعاب جبالها وأنه قتل خلقا من مردة الجن والغيلان وكان له تاج عظيم وكان يخطب الناس ودامت دولته أربعين سنة.

[2] انظر: البداية والنهاية ط إحياء التراث (١/ ١١١).

[3] تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٤٤٤).

عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين». قال: وكذلك في قراءة عبد الله «كان الناس أمة واحدة فاختلفوا»[1]. وذلك أن الناس كانوا بعد آدم عليه السلام وقبل نوح عليه السلام على التوحيد والإخلاص كما كان عليه أبوهم آدم أبو البشر – عليه السلام – حتى ابتدعوا الشرك وعبادة الأوثان – بدعة من تلقاء أنفسهم – لم ينزل الله بها كتابا ولا أرسل بها رسولا؛ بشبهات زينها الشيطان من جهة المقاييس الفاسدة. والفلسفة الحائدة. قوم منهم زعموا أن التماثيل طلاسم الكواكب السماوية والدرجات الفلكية والأرواح العلوية. وقوم اتخذوها على صورة من كان فيهم من الأنبياء

[1] المستدرك على الصحيحين للحاكم (٤٠٠٩). صحيح عن ابن عباس؛ فإنه وإن كان موقوفاً رواية؛ فهو مرفوع دراية؛ فإنه في تفسير قوله تعالى: (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين) [البقرة: ٢١٣]، وبخاصة أنه من رواية ترجمان القرآن عبد الله بن عباس–رضي الله عنهما–، وفيه ما يؤكد رفعه، وهو قوله: "وكذلك هي في قراءة عبد الله.. " يعني: عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٧/ ٨٥٤).

والصالحين. وقوم جعلوها لأجل الأرواح السفلية من الجن والشياطين. وقوم على مذاهب أخر. وأكثرهم لرؤسائهم مقلدون وعن سبيل الهدى ناكبون. فابتعث الله نبيه نوحا عليه السلام يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له وينهاهم عن عبادة ما سواه؛ وإن زعموا أنهم يعبدونهم ليتقربوا بهم إلى الله زلفى ويتخذوهم شفعاء. فمكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فلما أعلمه الله أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن دعا عليهم فأغرق الله تعالى أهل الأرض بدعوته وجاءت الرسل بعده تترى. إلى أن عم الأرض دين الصابئة والمشركين؛ لما كانت النماردة والفراعنة ملوك الأرض شرقا وغربا. فبعث الله تعالى إمام الحنفاء وأساس الملة الخالصة والكلمة الباقية: إبراهيم خليل الرحمن. فدعا الخلق من الشرك إلى الإخلاص. ونهاهم عن عبادة الكواكب والأصنام[1].

---

(1) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٦٠٣-٦٠٤).

التوحيد في أديان بلاد الرافدين

تعد حضارة وادي الرافدين واحدة من أقدم الحضارات في التاريخ وقد قامت هذه الحضارة على الامتداد الجغرافي المتوضِّع بين نهري دجلة والفرات وفي أيامنا هذه تقوم هناك دولة العراق، وقد توضَّعت سومر في إقليم جنوبي وادي الرافدين وإلى الشمال في الشطر الأوسط من وادي الرافدين قامت بلاد أكاد ثم اتحدت هذه مع سومر وقامت مملكة بابل وإلى الشمال من بابل قامت آشور[1].

وفي الفترة ما بين الطوفان إلى زمني ساروغ بن أرغو من أبناء سام الذين اتخذوا العراق موطنا لهم كان أهل العراق على التوحيد حتى وقع الشرك في زمنه وتكاثر العتاة والطغاة فعُظِّمت الكواكب وعُبدت من دون الله تعالى ثم صنعت الأصنام وجعل لكل هيكل صنما خاصا به وجعلت لها دور

(١) انظر: أسرار الآلهة والديانات أ.س. ميغوليفسكي. ترجمة د. حسَّان ميخائيل (ص: ٢١).

عبادة[1]. وقد ذكر اليعقوبي في تاريخه كيف أن أبناء نوح عليه السلام قد تواصوا بالتوحيد وإخلاص العبادة لله تعالى حتى تفرق أولاد نوح عليه السلام في البلاد وكثرت الجبابرة والعتاة وظهرت المعاصي وما زال أبناء نوح عليه السلام يوصي أهله بعبادة الله تعالى ومجانبة المعاصي حتى جاء زمن ساروغ بن أرغو في ولد سام، بعد موت أبيه، وقد كثرت الجبابرة، وعتت في الأرض. وكان في زمن ساروغ أول ما عبدت الأصنام[2]. وقال ابن خلدون: وأما ملوك بابل فهم

---

[1] انظر: تاريخ التوحيد في حياة البشرية دراسة عقدية مقارنة- هيا بنت إبراهيم العتيبي(ص: ٢١١).

[2] وكان أول شأن الأصنام أن الناس كان إذا مات لأحدهم الميت الذي يعز عليهم من أب أو أخ أو ولد صنع صنماً على صورته، وسماه باسمه، فلما أدرك الخلف الذي بعدهم ظنوا، وحدثهم الشيطان، أنه إنما صنعت هذه لتعبد، فعبدوها، ثم فرق الله دينهم، فمنهم من عبد الأصنام، ومنهم من عبد الشمس، ومنهم من عبد القمر، ومنهم من عبد الطير، ومنهم من عبد الحجارة، ومنهم من عبد الشجر، ومنهم من عبد الماء، ومنهم من عبد الريح، وفتنهم الشيطان وأضلهم وأطغاهم. انظر: تاريخ اليعقوبي (٥-٧). وانظر: تاريخ التوحيد في حياة البشرية دراسة عقدية مقارنة- هيا بنت إبراهيم العتيبي(ص:٢٠٠).

النبط بنو نبيط بن أشوذ بن سام[1]، وكانوا موطنين بأرض بابل وملك منهم سوريان بن نبيط، وقال المسعوديّ: هو أحد نبيط بن ماش ملك أرض بابل بولاية من فالغ، فلما مات فالغ أظهر بدعة الصابئة، وانتحلها بعده ابنه كنعان ويلقب بالنمروذ. وملك بعده ابنه كوش وهو نمروذ إبراهيم عليه السلام، وهو الّذي قدم أباه آزر فاصطفاه هاجر على بيت الأصنام لأن أرغو بن فالغ لما هلك أبوه فالغ وكان على دين التوحيد الّذي دعاه إليه أبوه عابر، رجع حينئذ أرغو إلى كوثا، ودخل مع النماردة في دين الصابئة، وتوارثها بنوه إلى آزر بن ناحور، فاصطفاه هاجر بن كوش وقدّمه على بيت الأصنام، وولد له إبراهيم عليه السلام، وكان من أمره ما ذُكر في التنزيل[2].

---

[1] وقال المسعودي: نبيط بن ماش بن إرم،

[2] انظر: تاريخ ابن خلدون (٢/ ٨٠).

دلائل وجود التوحيد في عقائد الفرس

اختلف النسَّابون في نسب الفرس، فمنهم من قال يرجع إلى سام بن نوح، ومنهم من قال يرجع إلى يافث بن نوح[1].

قال المسعودي: فالفرس على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب، في باب تنازع الناس في أنساب فارس، من ولد كيومرث بن أميم بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح[2].

وسواء كانوا من نسل سام بن نوح أو يافث؛ فالذي يهمنا أن هؤلاء كانوا على التوحيد[3]، قال ابن عباس: لما ضاقت

---

[1] انظر: تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري (١/ ٢٠١-٢٠٣).

[2] مروج الذهب ومعادن الجوهر- أبو الحسن المسعودي (٢/ ١٢٢).

[3] تاريخ التوحيد في حياة البشرية دراسة عقدية مقارنة- هيا بنت إبراهيم العتيبي(ص: ٢٣٦).

بولد نوح سوق ثمانين تحولوا إلى بابل فبنوها ...، فكثروا بها حتى بلغوا مائة ألف، وهم على الإسلام[1].

ولم يحدث في زمن كوميرث الشرك، وإنما حدث الشرك في زمن من ملك بعده، وهو طهمورث بن نوبجهان بن أرفخشذ بن أوشهنج، وكان ينزل سابور، حيث ظهر في سنة من ملكه رجل يقال له بوداسف أحدث مذاهب الصابئة وجدد عند الناس عبادة الأصنام، والسجود لها، لشُبَهٍ ذكرها، وقرب لعقولهم عبادتها بضروب من الحيل والخدع[2]. وانتشرت الوثنية المتمثلة في تعدد الآلهة، وعبادة الأصنام، وقوى الطبيعة، كما عبدوا إله الخير (مزدا)، أو (أهورا مزدا)، وإله الشر (أهريمان)، والقول بأصلين هما النور، والظلمة، حتى ظهر رجل يدعى زرادشت، في القرن السابع قبل الميلاد، بأذربيجان، في

---

[1] تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري (١/ ٢٠٣).

[2] انظر: مروج الذهب ومعادن الجوهر- أبو الحسن المسعودي (٢/ ٢٢٦- ٢٢٧).

القسم الغربي من بلاد فارس، وإليه تنسب الديانة الزرادشتية[1].

المجوسية:

المجوسية لون من ألوان الشرك والوثنية ظهر منذ فجر التاريخ ومنذ الوثنية الأولى للإنسان الأول عندما عبد مظاهر الطبيعة فعبد فيما عبد النور والنار[2]. فهم يعتقدون أن للعالم إلهين اثنين، أو أصلين يقتسمان الخير والشر، ويسمون الأول "النور" والآخر "الظلمة"، وبالفارسية "يزدان" و "أهرمن". ومن شعائرهم الضالة: عبادة النار، وتعظيم الملوك

[1] تاريخ التوحيد في حياة البشرية دراسة عقدية مقارنة- هيا بنت إبراهيم العتيبي(ص: ٢٣٩).

[2] الأديان في القرآن- محمود بن الشريف (ص: ٩١).

ورفعهم إلى مرتبة الألوهية، والصلوات والزمزمة، وشرب الخمر، والولع بالغناء والمعازف، واستحلال المحارم[١].

وقد استخلص "زرادشت" من أخلاط المجوسية عقيدة وسطا بين العقيدة الوثنية الأولى والعقيدة الإلهية الحديثة، سواء في تصحيح الفكرة الإلهية أو مسائل الأخلاق ومسائل الثواب والعقاب، ولم تختم المذاهب المتجددة في المجوسية بمذهب زرادشت وتفسيراته المتعددة، بل بقيت هذه المذاهب تتجدد إلى ما بعد شيوع المسيحية بعدة قرون: وأشهرها وأهمها في تاريخ المقابلة بين الأديان، مذهب مترا ومذهب ماني المعروف بالمانوية[٢]. فالمجوسية مرت بمراحل أربعه تمايزت كل منها عن سابقتها: الأولى: من نشأتها حتى ظهور "زرادشت ". الثانية: المجوسية في عهد "زرادشت "

---

[١] انظر: موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – مصر (ص: ٥٨١، بترقيم الشاملة آليا).

[٢] انظر: الله-عباس محمود العقاد (ص: ٨٨،٩٤).

الذي ظهر في القرن السابع قبل الميلاد. الثالثة: المجوسية بعد "زرادشت " وحتى ظهور الإسلام. الرابعة: المجوسية بعد ظهور الإسلام[١].

الزرادشتية:

أنكر زرادشت بعنف وشدة الوثنية المتمثلة في تعدد الآلهة وعبادة الأصنام ودعا الى الإيمان بإله واحد (أهورا مزدا)، وقد وصفه بأرفع ما يعرفه الناس في زمانه من صفات التنزيه فهو قديم أزلي مجرد من جميع شوائب المادة منزه عن كل أدران النقص لم يولد ولن يموت وهو روح الارواح..[٢]. وكان دينه: عبادة الله، والكفر بالشيطان، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، واجتناب الخبائث. وقال: النور والظلمة أصلان متضادان، وكذلك يزدان وأهرمن، وهما مبدأ

[١] انظر: موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – مصر (ص: ٥٨١، بترقيم الشاملة آليا).

[٢] موسوعة الاديان والمعتقدات القديمة- سعدون الساموك (ص:٨٢).

موجودات العالم، وحصلت التراكيب من امتزاجهما، وحدثت الصور من التراكيب المختلفة. والباري تعالى خالق النور والظلمة ومبدعهما، وهو لا شريك له ولا ضد، ولا ند، ولا يجوز أن ينسب إليه وجود الظلمة، كما قالت الزروانية[١].

ويؤمن الزرادشتيون بالنبوة وببعض الأنبياء، ويزعمون أن زرادشت كان نبيا ورسولا إلى الخلق أجمعين، يوحى إليه وأنه كان يناجي (أهورا مزدا) ويسمع جوابه[٢]. ويعظمون النار قربة إلى الله عز وجل ويزعم بعضهم أن النار من نور الله عز وجل[٣]. فواضح أن الديانة الزرادشتية كانت في أصلها ديانة توحيد منزه خالص دُعي إليها في وقت كانت فيه المجوسية تقول بأصلين أو مبدئين أو خالقين وكان الوثنيون

---

[١] الملل والنحل (٢/ ٤٢).

[٢] موسوعة الاديان والمعتقدات القديمة- سعدون الساموك (ص:٨٥).

[٣] انظر: البدء والتاريخ- المطهر المقدسي (٤/ ٢٧).

يعبدون الكواكب والأصنام ولا ريب أن للزرادشتية مرجعا من الوحي (وإن من أُمة إلا خلا فيها نذير) فما يستطيع التطور الفكري أن يصل الى التوحيد الحقيقي المنزه بدون معونة من الوحي أو اقتباس من ديانة موحى بها، وواضح أن ديانة ابراهيم قد سبقت الزرادشتية بحوالي عشرة قرون، فلا مانع من أن تكون الزرادشتية مقتبسة منها أو منقولة عنها[1]. ثم انحرفت دعوة زرادشت عن الحق مع مرور الزمن فظهرت المانوية، وفيها آثار الوحي الصحيح، ثم جاءت المزدكية لتقضي على كل ما بقي من الوحي،

[1] الإنسان في ظل الأديان–المعتقدات والأديان القديمة– د. عمارة نجيب (ص: ٢٤٧). ولعل التشابه بينما تذكره الكتب المقدسة عن حياة إبراهيم وما تذكره التراجم والأساطير الفارسية عن حياة زرادشت هو الذي دعا بعضهم إلى القول بأن زرادشت هو إبراهيم الخليل وأن "الأبستاق" هو صحف إبراهيم. انظر: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام– د. علي عبد الواحد وافي (ص: ١٢٧ –١٢٨).

فظهـرت بصـورة جديـدة نتيجـة خضـوع البشـر لأهـوائهم وأغراضهم الدنيوية[1].

---

[1] انظر: تاريخ التوحيد في حياة البشرية دراسة عقدية مقارنة- هيا بنت إبراهيم العتيبي(ص: ٢٥٠). ويطلق على الأسفار المقدسة للديانة الزرادشتية اسم "الأبستاق" والمقرر في هذه الديانة أن الأبستاق موحى به من الإله المسمى عندهم (أهورا مزدا) وليس من وضع زرادشت، وقد فقدت جميع نسخ الأبستاق بعد غزو الاسكندر لفارس سنه (٣٣٠) قبل الميلاد، وظلت بعد ذلك نصوص الأبستاق أو بعضها في حوافظ كبار الدين عند الفرس يتناقلونها مشافهة، وفي النصف الأخير من القرن الأول الميلادي شرع فولوجيس الأول ملك فارس في تدوين ما بقي من حوافظ الناس من الأبستاق وأكمل هذا في القرن الثالث الميلادي الملك أردشير مؤسس الدولة الساسانية، وقد فقد منه نحو الثلثين هذا إلى ما اعتور الفصول المدونة من نقص وزيادة وتحريف وتغيير عن أصولها نتيجة لتقادم العهد بها وتناقلها مدة طويلة عن طريق المشافهة، وكما فقد الأبستاق القديم الأصلي، فقد كذلك هذا الأبستاق الذي دون من حوافظ الناس في عهد الباراثيين والساسانيين وجاء في اثناء ذلك الاسلام واعتنقه معظم الايرانيين ولم يبقى على الزرادشتية إلا أقليات ضئيلة لا يؤبه لها، وفي أواخر القرن الثامن عشر الميلادي عثر أحد علماء الاثار الفرنسيين في اثناء بحثه في مكتبة بودليان بمدينة أكسفورد على قسم من الأبستاق الذي دون في عهد الباراثيين والساسانيين فقام بنشره وترجمته وهذا القسم هو كل ما وصل الينا وما نعرفه عن الأبستاق. انظر: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام- د. علي عبد الواحد وافي (ص: ١٣٥ - ١٣٧).

المانوية:

المانوية هي مذهب ماني بن فاتك، الذي يُرجح أنه ولد في أوائل القرن الثالث بعد الميلاد،[1]، أحدث دينا بين المجوسية والنصرانية، وكان يقول بنبوة المسيح عليه السلام. ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام. وزعم أن العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين: أحدهما نور، والآخر ظلمة، وأنهما أزليان لم يزالا، ولن يزالا. وقد فرض ماني على أصحابه العشر في الأموال كلها، والصلوات الأربع في اليوم والليلة، والدعاء إلى الحق، وترك الكذب، والقتل، والسرقة، والزنا، والبخل، والسحر، وعبادة الأوثان، وأن يأتي على ذي روح ما يكره أن يؤتى إليه بمثله[2].

---

(١) الأديان الوضعية – جامعة المدينة (ص: ٤٨٣).

(٢) واعتقاده في الشرائع والأنبياء أن أول من بعث الله تعالى بالعلم، والحكمة آدم أبو البشر ثم بعث شيثا بعده، ثم نوحا بعده، ثم إبراهيم بعده عليهم الصلاة والسلام ثم بعث بالبددة إلى أرض الهند، وزردشت إلى أرض فارس، والمسيح كلمة الله وروحه إلى أرض الروم والمغرب،

المزدكية:

هم أصحاب مزدك، الذي ظهر قبيل ظهور الإسلام[1]، وقول المزدكية كقول كثير من المانوية في الكونين والأصلين، إلا أن مزدك كان يقول: إن النور يفعل بالقصد والاختيار. والظلمة تفعل على الخبط والاتفاق. وكان مزدك ينهي الناس عن المخالفة، والمباغضة والقتال. ولما كان أكثر ذلك إنما يقع بسبب النساء والأموال، أحل النساء، وأباح الأموال، وجعل الناس شركة فيهما، كاشتراكهم في الماء، والنار والكلإ. ومذهبه في الأصول والأركان أنها ثلاثة: الماء والأرض والنار. ولما اختلطت حدث عنها مدبر الخير، ومدبر الشر، فما كان من صفوها فهو مدبر الخير، وما كان من كدرها فهو مدبر الشر. وروي عنه: أن معبوده قاعد

وبولس بعد المسيح إليهم. ثم يأتي خاتم النبيين إلى أرض العرب. انظر: الملل والنحل (٢/ ٤٩، ٥٣).

[1] انظر: الأديان الوضعية - جامعة المدينة (ص: ٤٤٥).

على كرسيه في العالم الأعلى، على هيئة قعود خسرو في العالم الأسفل، وبين يديه أربع قوى: قوة التمييز، والفهم، والحفظ، والسرور، وتلك الأربع يدبرون أمر العالم بسبعة من ورائهم، وهذه السبعة تدور في إثني عشر روحانيين، وكل إنسان اجتمعت له هذه القوى الأربع، والسبع، والإثنا عشر: صار ربانيا في العالم السفلي، وارتفع عنه التكليف[1].

---

[1] انظر: الملل والنحل (٢/ ٥٤-٥٥).

دلائل وجود التوحيد في معتقدات قدماء الهنود

الدين الطبيعي:

لم يدون تاريخ شعوب العالم أصل سكان الهند الذين عرفوا منذ ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد في بلاد السند، ويرى بعض الباحثين أن الاكتشافات تدل على وجود جيل ممتزج بالعرق واللون والأوصاف الجسمانية، عرفوا في التاريخ باسم"الدَرَافِيد" وهؤلاء هم الذين قاوموا "الآريين" مئات السنين حتى غُلبوا[1]، وتدل المكتشفات الأثرية القليلة التي عُثر عليها حديثا وغيرها من دراسات على أن سكان الهند عرفوا من الأديان "الدين الطبيعي" أي تقديس وعبادة مظاهر الطبيعة مباشرة أو بواسطة الرموز والتماثيل، ولا يكاد يختلف اثنان على وجود النزعة الفطرية التي تلتمس

[1] انظر: فصول في أديان الهند الهندوسية والبوذية والجينية والسيخية وعلاقة التصوف بها — د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي (٥-٦).

الألوهيـة في مـا وراء الطبيعـة أو في الوصـول بالطبيعيـات حجـارة أو أشـجارا أو بشـرا الى مرتبـة مـن المثالية تسـاوي القـول بما وراء الطبيعـة، وقـد حفلـت الهنـد بهـذه النزعـات المتنوعـة المختلفـة إلا أن الخـلاف بيننـا وبـين علمـاء مقارنـة الأديان إنمـا هـو في القـول بأن هـذه النزعـة كانـت أصـلا للعبادات والأديان التي تطورت من عبادة قوى الطبيعة إلى عبادة إله واحد. فالأصل عندنا هو عبادة الإله الواحد ثم الانحراف والردة الى عبادة مظاهر الطبيعة وقواها ولعل ذلك الانحـراف كـان تقـربا بهـا إلى الإلـه الحقيقـي ابتـداء ثم إلى تأليهها هي دون الإله الخالق[1].

فبلاد الهند قديماً كانت على دين التوحيد والهنود كانوا لا يعرفون إلا إله واحدا حتى ظهر الكهنة على مسرح الحياة فابتدعوا في الدين وأحدثوا فيه ما ليس منه فوقع الناس في

---

[1] انظـر: الإنسـان في ظـل الأديان–المعتقـدات والأديان القديمـة– د. عمـارة نجيـب (ص:١٧٥).

الشـرك وكثـرت الآلهـة وانصـرفوا عـن الحـق[1]. والـدافع للتشكيك في حقيقة التوحيد الهندية إنما هو منهج القول بالتطور العقائدي والاصرار عليه فلما خالف توحيد الهنود قاعـدتهم لم يجـدوا إلا التشـكيك في حقيقتـه ليصـح منهجهم[2].

الهندوسية:

أسـاس الهندوسـية هـو عقائـد "الآريـين" بعـد أن تطـورت بسبب اختلاط الآريين وهم في طريقهم البطيء إلى الهند بشعوب كثيرة وبخاصة بالإيرانيين ثم تأثرت هذه العقائد بعد احتلال الآريـين للهنـد بسـبب الاتصـال بأفكـار السـكان الأصـليين وبفلسـفات وأفكـار نشـأت في الهنـد في مراحـل

[1] انظـر: تاريـخ التوحيـد في حيـاة البشـرية دراسـة عقديـة مقارنـة- هيـا بنـت إبـراهيم العتيبي(ص:١٩٨).

[2] انظـر: الإنسـان في ظـل الأديان-المعتقـدات والأديان القديمـة- د. عمـارة نجيـب (ص: ١٩٠).

متباعدة من التاريخ حتى أصبحت الهندوسية بعيده عن العقائد الآرية الأصلية[1].

فالهندوسية ويطلق عليها أيضاً البرهمية ديانة وثنية يعتنقها معظم أهل الهند[2]، وسمِّيت الهندوسية بذلك -كما سماها الغربيون- نسبة إلى بلادهم الهند، وتسمَّى بالبرهمية نسبة إلى براهما[3]، وتعد الديانة البرهمية من أقدم الديانات في الأمم الآرية فإن تاريخها يرجع الى عصر سحيق يصعد به بعضهم

---

(1) انظر: أديان الهند الكبرى الهندوسية، الجينية، البوذية- د. أحمد شلبي (ص:٣٨).

(2) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/ ٧٢٤).

(3) موسوعة الملل والأديان - الدرر السنية (٢/ ٨٧، بترقيم الشاملة آليا). كلمة الهندوسية اشتقت من كلمة "سند" لأن أهل فارس واليونان كانوا يتجولون على سواحل "سند" ويغيرون حرف السين الى الهاء فقالوا "الهند" وكلمة "استهان" معناها "المقر" كانت ثقيلة عليهم فجعلوها "ستان" بحذف الهاء فقالوا "هندوستان" أي مقر أهل الهند، وقالوا للسكان "هندو" وإليها نسب دينهم فقالوا "الهندوسية" أو "الهندوكية" وقالوا لأهل هذا الدين هندوسي أو هندوكي، واما أهل الإنجليزية فغيروا الهاء من الهند إلى الهمزة فقالوا: اند (IND) وزادوا اليها (IA) للنسبة فصارت كلمه انديا (IND IA). انظر: فصول في أديان الهند الهندوسية والبوذية والجينية والسيخية وعلاقة التصوف بها – د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي(ص: ١٧).

إلى نحو القرن الخامس عشر قبل الميلاد ويعتنقها الآن معظم سكان الهند وبعض سكان الباكستان وهي منسوبة للإله "براهما" وهو عند معتنقي هذه الديانة اسم للإله الخالق، ويطلق على الأسفار المقدسة لهذه النحلة اسم (الفيدا) ومعناها المعرفة أو العلم، ومن أسفار (الفيدا) استمدت (قوانين مانو) التي تنسب لمشرع هندي قديم اسمه مانو أو مانفا وهي تفصيل وشرح وبيان لما اشتملت عليه أسفار (الفيدا) من قصص ديني وعقائد وعبادات وشرائع وأخلاق وينزل البرهميون هذه القوانين منزله التقديس حتى لقد اعتقدوا أن مؤلفها أحد الآلهة المنبثقين من الإله الخالق (براهما)[١].

وتقول الأساطير الهندوسية أن (براهما) روح العالم قد خلق (مانو) أول البشر فأخرج منه زوجة له فصار أول زوج

[١] انظر: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام- د. علي عبد الواحد وافي (ص: ١٥٦).

وزوجة على وجه الارض وجاء منهما نسل البشرية و بإرادة (براهما) كذلك جاءت جميع الكائنات فصار (براهما) هو الخالق نفسه لأنه أخرجه من نفسه وجاء من (مانو) أبي البشر أربع طبقات فمن رأسه جاء أفضل الناس وأعظمهم قدسية وهم الكهنة البراهمة ومن ذراعه جاء من يليهم في الأفضلية وهم الملوك والمحاربون ومن فخذيه جاء أرباب المهن ممن يهيئون أسباب المعيشة للطبقتين التي سبقتها بالأفضلية وتسمى هذه الطبقة الفيشية ومن قدم (مانو) جاءت الطبقة السفلى من الناس وهم الطبقة المنبوذة أو العبيد أو الخدم الذين يسمون بالشودرا[١].

ويتضح مما سبق خلط بين الحق والباطل فمما تتفق فيه الهندوسية مع الأديان السماوية في مسألة الخلق ما يلي:

---

[١] انظر: المعتقدات والأديان وفق منهج القرآن– د. سعدون محمود الساموك (ص: ٢٦١).

١- لم يكن قبل خلق هذا الكون موجود سوى الله تعالى.

٢- أن الذي أوجد هذا الكون وخلق جميع المخلوقات هو الله تعالى.

٣- أن أوّل ما خلق الله من البشر رجل خلق منه زوجه ومنهما تكاثرت البشرية.

وكل ما عدا هذه النقاط هو من التحريف الذي أُدخل بعد ذلك على ما أُثر من الأنبياء(١).

وقد كانت العبادة في الديانة الهندية القديمة قاصرة على أناشيد (الريجا فيدا) وهي أقدم أسفار (الفيدا)، وكان الهنود

(١) انظر: تاريخ التوحيد في حياة البشرية دراسة عقدية مقارنة- هيا بنت إبراهيم العتيبي(ص:١٩١). يقول أبو الريحان البيروني: واعتقاد الهند في الله سبحانه أنه الواحد الأزلي، من غير ابتداء ولا انتهاء المختار في فعله القادر الحكيم الحيّ المحيي المدبّر المبقي الفرد في ملكوته عن الأضداد والأنداد لا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء؛ ثم أورد ما نقل في ذلك من كتبهم. انظر: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة- أبو الريحان البيروني (ص: ٢٣).

لا يعرفـون إلا إلهـا واحـدا تحـت ارشـاد العبَّـاد والحكمـاء المخلصين ثم ظهر الكهنة على مسرح الحياة فابتدعوا من الأسماء والمسميات ما لم يكن له أصل في كتب (الفيدا) بل تعدوا وغيروا بعض معاني الفيدا[1].

فالديانـة البرهميـة كانـت في أصـلها -علـى مـا يبـدو مـن نصوص أسفارها- ديانة توحيد مشوبة بعقائد وحدة الوجود وتناسخ الارواح ورجوع الكائنات للخالق وما إلى ذلك من المعتقدات التي انتقلت كثير منها الى التصوف الاسلامي ونظريات بعض رجاله. ولكنها تغيرت وحرفت على مر الايام وحلت محلها عقيدة تثليث لأنهم زعموا أن (براهما) كان قبل الوجود في فضاء لا نهاية له فرغب أن يكون كثيرا فخلق العالم بقوة إرادته وبفيض من ذاته (نظرية وحدة الوجود) وسمى نفسه الخالق. ثم انبثق منه الإله المدمر وهو

[1] انظر: الأديان في كفة الميزان – د. محمد فؤاد الهاشمي (١٤-١٥).

الإله (سيفا) الموكل بالخراب والفناء فلا يذر من شيء أتى عليه إلا جعله كالرميم، ولو ترك هذا الإله وشأنه لفنيت السماوات والارض ومن فيهن ولهذا انبثق من (براهما) إله ثالث حافظ مجدد وهو الإله (فيشنو).

وبذلك انمحت عقيدة التوحيد الأصلية في الدين البرهمي واستبدل بها هذا الثالوث، ويتجه البرهميون الآن بمعظم عباداتهم الى الإله (فيشنو)، وهو الإله الحافظ المجدد أما الإله (سيفا) فهو إله مدمر يُتقى شره، وأما الإله (براهما) وهو أصلهم جميعا فيزعمون أنه قد أدى وظيفته وهي الخلق وأنه ينعم الآن بالراحة المطلقة الكاملة. وقد سرت صفة القداسة عندهم مع تقادم العهد إلى بعض الأنهار والجمادات وبعض الحيوانات وعلى الأخص فصيلة البقر التي ينزلونها منزلة كبيرة من القداسة ويحرمون ذبحها ويعتبرون التعرض لها من أكبر الجرائم وسرت إليهم كذلك عبادة

الأصنام التي ترمز إلى الآلهة أو إلى الملائكة أو إلى الكواكب أو القديسين وتفننوا في صنعها ووضعوا لنحتها قواعد ومقاييس مضبوطة تختلف باختلاف ما ترمز إليه وأعطوا لكل منها اسما خاصا وتقربوا إليها بالصدقات والقرابين[١].

الجينية:

يعتبر القرن السادس قبل الميلاد من أجدر عصور التاريخ بالملاحظة، ففي كل مكان به كانت عقول الناس تظهر جرأة جديدة، وفي كل مكان كان الناس يستيقظون مما ران

[١] انظر: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام- د. علي عبد الواحد وافي (ص: ١٦٦-١٦٧). قال المسعودي: كان كثير من أهل الهند والصين وغيرهم من الطوائف يعتقدون أن الله عز وجل جسم، وأن الملائكة أجسام لها أقدار، وأن الله تعالى وملائكته احتجبوا بالسماء، فدعاهم ذلك إلى أن اتخذوا تماثيل وأصناما على صورة الباري عز وجل، وبعضها على صورة الملائكة: مختلفة القدود والأشكال، ومنها على صورة الإنسان وعلى خلافها من الصور، يعبدونها، وقربوا لها القرابين، ونذروا لها النذور، لشبهها عندهم بالباري وقربها منه، فأقاموا على ذلك برهة من الزمان وجملة من الأعصار، ولما طال عليهم العهد عبدوا الأصنام على أنها تقربهم الى الله، والفوا عبادة الكواكب. انظر: مروج الذهب ومعادن الجوهر- أبو الحسن المسعودي (٢/ ٢٢٥- ٢٢٦).

عليهم من تقاليد الأباطرة والكهان والقرابين، ويسألون أشد الأسئلة تعمقا ونفاذا وكأنما الجنس البشري قد بلغ مرحلة الرشد بعد طفولة دامت عشرين ألف سنة، ففي هذا القرن ظهر بالهند "مهاويرا" معلم الجينية وظهر "غوتاما" مؤسس البوذية، وظهر بالصين "كونفوشيوس" المربي الكبير، وفي إيران ظهر "زرادشت"، وبين بني اسرائيل قام "أشيعا" وغيره من المعلمين، وفي بلاد الإغريق ارتفع صوت "فيثاغورس" وفي مدينة إفيسس تجلى "هيراقليتوس" يواصل تأملاته وأبحاثه الفكرية في طبيعة الأشياء، وهكذا هبت موجة فكرية تجاوبت أصداؤها في كل مكان[1].

والجينية نشأت كنوع من ردة الفعل للبرهمية وتزعمها "مهاويرا" الذي قاد فكرة نفي الآلهة والاعتقاد بأن الموجودات تحمل في تركيبها المادة والروح، وأن كل روح من

---

[1] انظر: أديان الهند الكبرى الهندوسية، الجينية، البوذية- د. أحمد شلبي (ص:١٠٤).

هـذه الأرواح خالـدة يجـري عليهـا التناسـخ الـذي أقرتـه البرهمية[1]. و"مهاويرا" معناه البطل العظيم، ويدعى كذلك "جينـا" أي القـاهر والمتغلـب، وبهـذا الوصـف سميـت الفرقـة كلهـا وسميـت بـه الديانـة الجينيـة لأن مؤسسيها عرفـوا بقهـر شـهواتهم والتغلـب علـى رغبـاتهم. ويـرى الجينيـون أن الجينيـة مذهب قديم جدا وأنه قد تم نضجه على يد أربع وعشرين من الجينيين، وكان جينا الأول اسمه "رسابها" وقد ظهر منذ أمد بعيد ولا يحفظ التاريخ عنه شيئا ولا يرتبط به إلا بعض الاسـاطير وتتـابع الجينـوات الواحـد بعـد الآخـر حـتى ظهـر الجيناوان الأخيران في العصور التاريخية، أمـا أولهمـا وهـو جينـا الثالـث والعشـرون فاسمـه "بارسـواناث" وقـد ولـد في القـرن التاسع قبل الميلاد ومات في القرن الثامن، وقد أسس نظامـا رهبانيـا شـدد فيـه بضـرورة الرياضيات الشـاقة المتعبـة وجعـل

---

[1] انظر: فصول في أديان الهند الهندوسية والبوذية والجينية والسيخية وعلاقة التصوف بها – د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي (ص:١٧٧).

أتباعه اسمين خاصة وعامة، فالخاصة هم الرهبان والمتبتلون الـذين التزمـوا الرياضـات الشـاقة والحرمـان وتركـوا الأهـل والمسـكن وأخـذوا يجوبـون الأقطـار ويطوفـون في القـرى والأمصار وهذا القسم هو عمود النظام، والعامة هم الذين يؤيدون النظام بأموالهم ويمدون الرهبان بحاجاتهم مع بعد عن الفـواحش وانشـغال بالمكاسـب مـن غـير عنـف ولا إضـرار بأحـد، مقتـدين بالرهبـان مـا وسـعهم. وسـبق أن ذكـرنا أن الجينيـة كانـت نوعـا مـن المقاومـة للهندوسـية وثـورة علـى سـلطان البراهمـة ومـن هنـا لم يعـترف "مهـاويرا" بالآلهـة، فالاعتراف بالآلهة قد يخلق من جديد طبقة براهمة أو كهنة يكونون صلة بين الناس والآلهة وقرر أنه لا يوجد روح أكبر أو خالق أعظم لهذا الكون، ومن هنا سمي هذا الدين دين إلحـاد واتجهـت الجينيـة إلى الاعتقـاد بأن كل موجـود إنسـانا كان أو حيوانا أو نباتا أو جمادا يتركب من جسم وروح وأن كـل روح مـن هـذه الارواح خالـدة مسـتقلة يجـري عليهـا

التناسخ الذي اتفقت فيه الجينية مع الهندوسية[1]. وقد تأثرت الهندوسية بالجينية في كثير من تشريعاتها وعقائدها كعبادة الأصنام، وتحريم ذبح الحيوانات، وفي مسألة التناسخ أو جولان الروح، والرهبانية، وهكذا جاءت فكرة العري من الجينية وأخذها النساك الهندوسيون والبوذيون[2].

وللوصول للنجاة يتحتم على الناسك ألا يوقع أذى بإنسان أو حيوان وعليه أن يدرك أن احترام الحياة أقدس ما عنا به "مهاويرا" وعلى هذا يحرم عليه قتل الحيوان، ولعل لهذا صلة بصوم المسيحيين عما فيه روح فأغلب الظن أن صوم المسيحيين على هذا الوجه انحدر لهم من الفكر الجيني. وهكذا تتفق الجينية مع الاسلام في جزء يسير يتعلق بروح الانسان، ذلك هو خلود الروح خلودا أبديا وخضوعها

(١) انظر: أديان الهند الكبرى الهندوسية، الجينية، البوذية- د. أحمد شلبي (١٠٧-١١١).

(٢) انظر: فصول في أديان الهند الهندوسية والبوذية والجينية والسيخية وعلاقة التصوف بها – د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي (١٦٢-١٦٣).

للثواب أو العقاب بما يرتكبه صاحبها، وإن اختلف الاسلام مع الجينية في طريق الثواب والعقاب[1].

ويرى الجينيون أن الشعور بالحياء يتضمن تصور الإثم وعلى العكس من ذلك فعدم الشعور بالحياء معناه عدم تصور الإثم وذلك زيادة في النقاء، فعلى كل ناسك يريد أن يحيا حياة بريئة من الإثم أن يعيش عاريا ويتخذ من الهواء والسماء لباسا له، أما الانتحار فقد كان نتيجة للتخلي عن كل عمل وترك كل ما يغذي الجسم لعدم الاحساس بالجوع ولقطع الروابط بالحياة وللتدليل على أن الراهب أو الراهبة لم يبقى له اهتمام بهذا الجسد الفاني فهو يجيعه وينتف شعره ويعرضه لظواهر الطبيعة القاسية حتى الموت وقد انتشر الانتحار بالجوع بين رهبان الجينيين قديما.

---

[1] انظر: أديان الهند الكبرى الهندوسية، الجينية، البوذية- د. أحمد شلبي (١١٢-١١٥).

والمصادر المقدسة لدى الجينيين هي خطب "مهاويرا" ووصاياه ثم الخطب والوصايا المنسوبة للمريدين والعرفاء والرهبان والنساك الدينين. وقد كانت الجينية فرقة واحدة طيلة حياة "مهاويرا" وبعد وفاته حدث انقسام شطر الجينية إلى فرقتين تسمى أحداهما "ديجانبرا" أي أصحاب الزي السماوي أي الذين اتخذوا السماء كساء لهم (والمقصود بهم العراة) والثانية تُسمى "سويتامبرا" أي أصحاب الزي الأبيض، وعن هاتين الفرقتين حدثت فرق أخرى كثيره غير مهمة.

والجينية مع أنها لا توقع أذى بذي روح، توجب أن يطيع الشعب حاكمه وتقضي بذبح من يعصي الملك أو يتمرد عليه، ولعل هذا هو الذي جعل الملوك والرجاوات يقبلون على الجينية يعتنقونها ويؤيدونها. ويبلغ تعداد الجينيين الآن حوالي المليون وكلهم في الهند، فالجينية كالهندوسية لم تخرج

من الهند، ومستواهم الاجتماعي والثقافي راق في الغالب، وعنايتهم بالثقافة لا تقل عن عنايتهم بالمال والفنون[١].

البوذية:

هناك اختلاف شديد بين المؤرخين حول "بوذا" ووجوده التاريخي لأن تعليماته لم تدون الا بعد أن مضى عليها ثلاثة قرون في زمن الملك "آسوكا" الذي تولى العرش سنه ٢٧٣ ق.م[٢]. و"بوذا" هو العارف المستيقظ والعالم المتنور، وهو الاسم أو اللقب الذي حصل عليه "غوتاما" عندما كُشف عنه الغطاء وتيقظ شعوره واستوى على عرش البوذية[٣]، ويصعب على الدارس أن يصنف بوذية "بوذا" بين الديانات الوضعية، لأن "بوذا" بالأساس لم يناقش الألوهية وعالم

---

[١] انظر: أديان الهند الكبرى الهندوسية، الجينية، البوذية- د. أحمد شلبي (١١٦-١٢٥).

[٢] فصول في أديان الهند الهندوسية والبوذية والجينية والسيخية وعلاقة التصوف بها — د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي (ص: ١٣٠).

[٣] انظر: أديان الهند الكبرى الهندوسية، الجينية، البوذية- د. أحمد شلبي (١٣٧).

الغيب فتصنيف "بوذا" بين الفلاسفة أسهل[1]، فلم يكن "بوذا" نبيا ولا صاحب دين ولم يتلقى وحيا وإنما هو باحث فيلسوف مفكر عاش على الارض وفكر فيما حوله من الأحياء ورأى ما ينزل بهم من متاعب وانتفع في تفكيره بما سبقه من فلسفات وأفكار، ولم يتعرض في مباحثه لوجود الله بل حاول حل مسألة الحياة وانتهى منها دون التعرض لوجود الله، وكان الأساس الذي بنى عليه بحثه أساس فلسفي، ثم أسرع اتباعه بعد وفاته الى تحويل تعاليمه إلى مذهب ديني ولما وجدوا أنه ترك المكان الذي يستحقه الله في الأديان فارغا عمدوا الى "بوذا" نفسه فحملوه ووضعوه فوق عرش الإله الفارغ، وقد لعبت بهم الاهواء حتى اتجه بعضهم الى الاعتقاد أن "بوذا" ليس إنسانا بل إن روح الله قد حلت به، وهذه العقيدة تشبه عقيدة الحلول التي يعتنقها

[1] مقارنة الأديان - محمد الخطيب (ص:٤٣٥). وانظر: تاريخ التوحيد في حياة البشرية دراسة عقدية مقارنة- هيا بنت إبراهيم العتيبي(ص:١٨١).

بعض المسيحيين في السيد المسيح فيقولون إن شخصيته ثنائية لاهوتية وناسوتية وإن الشخصية اللاهوتية حلت بالناسوت، وتسربت هذه العقيدة أيضا إلى "مدعي التشيع" فقالوا بها فيما يتعلق بعلي بن أبي طالب، بل ذهب بعض البوذيين الى القول بأن "بوذا" كائن لاهوتي هبط إلى هذا العالم لينقذه مما فيه من شرور[1].

وتذكُّر اسم "بوذا" وتصوره من أعلى مراتب العبادة عند الرهبان البوذيين، وقد أدت هذه العقيدة إلى تعظيم الرهبان وعبادتهم وفي اعتقاد البوذيين أن النجاة لا تحصل بمطالعة الكتب والتدبر فيها بل لابد من الأخذ عن الراهب الكامل الذي يبلغ درجة "بوذا" في التخلي عن الشهوات والرغبات وهو الوحيد الذي يتولى كشف الأسرار، وفي المرحلة الثانية يقوم هذا العابد مقام المعبود والمخلوق مقام الخالق فلم يبقى

---

[1] انظر: أديان الهند الكبرى الهندوسية، الجينية، البوذية- د. أحمد شلبي (١٦٢- ١٦٦).

بينه وبين خالقه أدنى فرق، ومن هنا يدعي الألوهية لنفسه. وقارن بين هذه العقيدة عند البوذيين وبين عقيدة تصور الشيخ عند الصوفية فإن السالك في التصوف يتصور شيخه غائبا أو ميتا ويرسم صورته على قلبه فلا يعمل شيئا إلا بإذنه فكأنه يعيش معه وفي المرحلة الثانية يتصور النبي صلى الله عليه وسلم ويرسم صورته، وفي المرحلة النهائية يدعي وصوله إلى درجة الإحسان(١).

وقد انتشرت البوذية في عهد "بوذا" انتشارا واسعا بين الطبقات العليا والطبقات الدنيا ولكنها بدأت تنكمش بعد "بوذا" حتى جاء الملك "آسوكا" والبوذية على وشك أن تُنها فاعتنقها وبعث فيها الحياة مرة أخرى ودفع بها إلى الخارج، ومات "آسوكا" وقد انتشرت البوذية في الهند وفي البلاد المجاورة لها ولكن البوذية في الهند عادت بعد قليل أن

(١) انظر: فصول في أديان الهند الهندوسية والبوذية والجينية والسيخية وعلاقة التصوف بها – د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي (١٤٧-١٤٨).

تصارع الهندوسية كما فعلت من قبل ولم تستطع البوذية أن تثبت في هذا الصراع فالهندوسية كانت أثبت وأكثر صلة باتجاهات السكان وميولهم فاضمحلت البوذية أمامها وأخذت تنحدر حتى انحسرت عن الهند تقريبا أما في البلاد المجاورة فإن البوذية سارت بنجاح وانسابت في اتجاهات متعددة في شرقي آسيا حتى أصبح أتباعها حوالي خمسمائة مليون نسمة ينتشرون في بورما وتايلاند والصين واليابان واندونيسيا ونيبال والتبت وسيلان[١].

---

[١] والبوذية القديمة أي العميقة الصلة ببوذا والتي يتجلى فيها الطابع الاخلاقي والتربوي تسمى المذهب الجنوبي وهي تنتشر في بورما وتايلاند وسيلان وكتبها المقدسة مكتوبة باللغة البالية وهي لغة هندية قديمة أما البوذية الجديدة فهي التي اختلطت بالآراء والنظريات الفلسفية وتسمى المذهب الشمالي وتنتشر في الصين واليابان والتبت ونيبال واندونيسيا وكتبها المقدسة مكتوبه باللغة السنسكريتية وأتباعها أكثر من اتباع المذهب الجنوبي. انظر: أديان الهند الكبرى الهندوسية، الجينية، البوذية- د. أحمد شلبي (١٧٢-١٧٦).

الاصلاح الديني في الهند:

السيخية:

ظهر في الهند بعض المصلحين الذين قاموا بإصلاح وتعديل الديانات الكبرى، ومن بينهم السيخ، وهم آخر العقائد التي ظهرت في الهند وأحدثهم، وهم أيضا أقل العقائد أتباعا في الهند، يعيش معظمهم في إقليم البنجاب وفي منطقة هاريانا وفي دلهي أيضا، وتوجد منهم أقليات في ماليزيا وسنغافورة وفي شرق أفريقيا وفي أطراف الخليج العربي كما توجد أقليات أخرى في الولايات المتحدة وإنكلترا وكندا[١].

وقد كان ظهورهم في نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر الميلاديين داعين إلى دين جديد زعموا أن فيه شيئاً من الديانتين الإسلامية والهندوسية تحت شعار "لا

---

[١] انظر: عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة- فوزي محمد حميد (ص:٢١٥).

هندوس ولا مسلمون". وقد عادَوا المسلمين خلال تاريخهم، وبشكل عنيف، كما عادَوا الهندوس بهدف الحصول على وطن خاص بهم، وذلك مع الاحتفاظ بالولاء الشديد للبريطانيين خلال فترة استعمار الهند. وكلمة سيخ كلمة سنسكريتية تعني المريد أو التابع[١]. والسيخ في الأصل هم فرع من الهندوسية البرهمية وعندما وصل الإسلام إلى الهند آمن به عدد كبير من الهنود، وبدأ المصلحون الهندوس يدرسون الإسلام الذي يدعو إلى عبادة الإله الواحد، فحاولوا إدخال التوحيد في عقيدتهم البرهمية، فظهرت مذاهب جديدة جاء بها المصلحون من أمثال: ناناك ١٤٦٩-١٥٣٩م وهو مؤسس مذهبهم، كابير، ديانندا، وغيرهم[٢].

---

[١] انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/ ٧٦٤).

[٢] انظر: عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة- فوزي محمد حميد (٢١٥-٢١٧).

وترجع جذور حركتهم في الأصل إلى ظهور حركة "فيسنافا باختي" التي بدأت بالظهور بين الهندوس في منطقة التأمل، ووصلت إلى الشمال على يد رامانوجا ١٠٥٠ – ١١٣٧م. وفي القرنين الرابع عشر والخامس عشر، وبعد الاحتكاك بالمسلمين، انتشرت هذه الحركة في سهل الغانج. لذا يقال بأن "ناناك" لم يكن الأول في مذهبه السيخي هذا، وإنما سبقه إليه شخص آخر صوفي اسمه كابير ١٤٤٠ – ١٥١٨م، درس الدين الإسلامي والهندوكي وكان حركة اتصال بين الدينين إذ أراد أن يؤلف بينهما عن طريق التوجيه والتأمل الصوفي. وعلى كل حال فعقيدة السيخ تعتبر إحدى حركات الإصلاح الديني التي تأثرت بالإسلام واندرجت ضمن محاولات التوفيق بين العقائد ولكنها ضلت الطريق حيث لم تتعرف على الإسلام بما فيه الكفاية من ناحية ولأن الأديان ينزل بها الوحي من السماء ولا مجال لاجتهاد البشر بالتلفيق والتوليف واختيار عناصر العقيدة

من هنا وهناك[1]. وهكذا ترى أن الفكرة السيخية التي بدأت بوحدة الأديان، وتقليل المنافرة بين الفرق والمذاهب، فشلت في بغيتها وظهرت بفكرة جديدة وقوة ثالثة تحارب في وقت واحد الهندوسية والإسلام، وقد دار بين السيخين والمسلمين معارك كثيرة في داخل الهند، وكانت هذه الفرقة سببا رئيسيا لفشل الجهاد الإسلامي، وانهزم المسلمون على يد هذه الفرقة في ميدان "بالاكوت"، وانتهت بانتهائهم دولة إسلامية قوية ظلت ثمانية قرون يحكمون بلاد الهند، فاستولى عليها المستعمر البريطاني[2].

---

[1] انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/ ٧٦٨-٧٧٠).

[2] انظر: فصول في أديان الهند الهندوسية والبوذية والجينية والسيخية وعلاقة التصوف بها – د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي (ص: ١٩٢).

دلائل وجود التوحيد في معتقدات قدماء الصين

كان الصينيون الذين عاشوا منذ عدة آلاف من السنين عبدة للطبيعة تماما كأغلب الشعوب القديمة، وأهم عناصر تلك العبادة الخوف من خوارق الطبيعة، وعبادة الأرواح الكامنة في جميع الأنحاء، وتقديس ما على الارض من صور رهيبة وما لديها من قدرة على إنتاج التوالد، وخشية السماء وعبادتها وإجلال ما فيها من شمس منعشة وأمطار مخصبة، بل لقد كان الصينيون يعدون الشمس والمطر من عناصر الوئام والارتباط بين ما فوق الأرض من حياة وما في السماء من قوى خفية قادرة، ومن هنا عبدوا الريح والرعد والأشجار والجبال والأفاعي، وآمنوا بأن لكل من هذه المقدسات روحا يجب أن تعبد، وعلى الرغم من ذلك كله آمن أهل الصين القدماء بوجود حاكم أعلى واحد فوق كل الأرواح وفوق كل الناس اسمه "شانج تي" وهو القوة العليا

المسيطرة على العالم، وقالوا إنه عادل لدرجة أنه مهما صلى له الاشقياء فلن يقبل العفو عنهم أبدا، ولكن "شانج تي"- مع كل ذلك- لم يكن الإله الأعلى والأعظم في اعتقاد الصينيين، فالإله الأعلى سيد كل الآلهة اسمه "تيان" وهو موجود في السماء، فعبد الناس ذلك الرب الأعلى الذي يعيش في السماء إلى جانب عبادتهم أرواح الشمس والقمر والمطر والنار والرعد والجبال والأنهار[1].

ولم يقم المجتمع الصيني على العلم بل قام على خليط فذ عجيب من الدين والأخلاق والفلسفة، ولم يشهد التاريخ شعباً من الشعوب أشد من الشعب الصيني استمساكاً بالخرافات، أو أكثر منه تشككاً، أو أكثر انصياعاً لحكم

---

[1] ولم يكتفِ الصينيون القدماء بهذه العبادات، بل لقد عبدوا أرواح أسلافهم أيضا، فإذا مات رجل عبد أبنائه روحه كما عبده أحفاده، وحتى أبناء أحفاده وأحفاد أحفاده عليهم أن يعبدوا ذكراه. ولم يكتفِ الناس بذلك بل عبدوا كذلك أرواح كبار الحكماء والأبطال الوطنيين، وعبدوا بصفة خاصة أباطرتهم الذين كانوا يعتبرون دائما مقدسين. انظر: قصة الديانات- سليمان مظهر (١٨٧-١٨٩).

العقل أو أقوى منه دنيوية، ولم توجد على ظهر الأرض أمة تماثل الأمة الصينية في التحرر من سيطرة الكهنة[١]، ولهذا امتزجت الفلسفة الصينية بالدين وتوافقت معه فقامت الفلسفة على الأخلاق الفاضلة وتنظيم السلوك الإنساني، فالصينيون وإن كان دينهم في عقائده وأسسه وشعائره لا يمت للحق والمنطق بصلة، إلا أن الأخلاق عند الصينيين بلغت درجات من السمو والرفعة أدهشت العلماء عندما درسوها واطلعوا عليها وخاصة ما وجدوه عندهم من حكم ووصايا وآراء خلقية سامية موروثة، ولهذا ظنَّ العلماء أن الصينيين لابد وأنه قد بُعث فيهم رسل، وأخذوا يقارنون بين التوراة والكتب الصينية في الأخلاق والحكم الوصايا، وهذا أمر ممكن لأن الله سبحانه وتعالى لا يترك مثل هذه الجماعات البشرية الكبيرة من غير رسول يهديهم أو يدعوهم إلى عبادة الله وحده، وإن كان غير معروف أي رسول منهم، وهذا لا يعني عدم وجود أنبياء أو رسل في

---

[١] انظر: قصة الحضارة – وِل ديورَانت (٤/ ٢٥٦).

تلك البلاد الرحبة، وأنهم لن يتركوا سدىً من غير هداية أو إرشاد، قال تعالى:﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤][(١)].

وقد بلغت الأخلاق الصينية إلى حد أن يروي لنا الاستاذ "زانكير" أن المبشرين المسيحيين حين اتصلوا بالصينيين في القرن التاسع عشر ورأوا عندهم من أخلاق، بهتوا خجلاً من عقيدتهم القديمة في هذه الأمة، ولم يجدوا لهم من هذه الورطة مخلصا إلا أن يعلنوا أن الإله قد أوحى إلى الصينيين كما أوحى الى الإسرائيليين، وأن "شانج تي" ليس إلا الرب السماوي المذكور في الكتاب العبري المقدس، بل إن أحد اليسوعيين في القرن التاسع عشر اشتغل بجمع بعض النصوص الصينية ليثبت منها هذا الوحي الإلهي، وأن عددا كبيرا من القسس والعلماء قد حاولوا أن يربطوا بين التوراة وبين الكتب الصينية، تارة في الأخلاق وتارة في أصول

(١) انظر: عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة- فوزي محمد حميد (٢٢٥-٢٢٦).

العقيدة وثالثة في اللغة، على نحو ما رأينا من التحككات اللفظية التي قام بها العلماء بين الفلسفتين الهندية والفارسية[1].

وبعد القرن الثامن قبل الميلاد ظهرت نزعة الشك بين العوام في الإله الأعلى، وبدأ الناس يشكون في وجود هذا الإله الغيبي إلا قليلاً منهم، وبهذا اشتد ميل العوام إلى عبادة الآلهة المتعددة وأرواح الأسلاف، حتى إذا اقترب عصر ظهور كونفوشيوس كان الشرك والوثنية سمة سائدة في المجتمعات الصينية[2].

---

[1] انظر: الفلسفة الشرقية – محمد غلاب (ص:٢١٠).

[2] الكونفوشيوسية ماضيها حاضرها موقف الاسلام منها– ناصر بن فلاح الشهراني (٦٢-٦٣).

الكونفوشيوسية:

الكونفوشيوسية ديانة أهل الصين، وهي ترجع إلى الفيلسوف كونفوشيوس الذي ولد سنة ٥٥١ ق. م، وظهر في القرن السادس قبل الميلاد داعياً إلى إحياء الطقوس والعادات والتقاليد الدينية التي ورثها الصينيون عن أجدادهم مضيفاً إليها جانباً من فلسفته وآرائه في الأخلاق والمعاملات والسلوك القويم. وهي تقوم على عبادة إله السماء أو الإله الأعظم، وتقديس الملائكة، وعبادة أرواح الآباء والأجداد. وقد تلقى كونفوشيوس علومه الفلسفية على يدي أستاذه الفيلسوف "لوتس" صاحب النِحلة الطاوية، حيث كان يدعو إلى القناعة والتسامح المطلق، ولكن كونفوشيوس خالفه فيما بعد داعياً إلى مقابلة السيئة بمثلها وذلك إحقاقاً للعدل[١].

---

[١] انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/ ٧٤٨).

وقد أثَّر كونفوشيوس بعمق على الديانة الصينية، وكان ذات المنبع لإصلاحه الأخلاقي والسياسي هو ديني، ومن جهة أُخرى فهو لم يطرح أي فكرة تقليدية هامة لا التاو، ولا رب السماء، ولا عبادة الأجداد[١]. وقد أُثر عنه أنه قال: "إني لم أبتدع شيئاً جديدا، وإنما نقلت تراث الحكماء الأقدمين إلى العصر الذي أعيش فيه"، فكونفوشيوس أسس مذهبه على نظريات صينية عتيقة ترجع إلى عصر ما قبل التاريخ[٢]. فقام بنقل أفكار الأقدمين وآرائهم ومعتقداتهم، وكتب ذلك بلغة عصره، وعمل على تلقينها لثلاثة آلاف تلميذ، وكانت العبادة في عصره لأله السماء أو الإله الأعظم، ثم إله الأرض، وتقديس الملائكة، وعبادة أرواح الأجداد، وعندما مات تكاثر الناس حول قبره شيئا فشيئا مشكلين قرية كونج، ثم أخذوا يعقدون حول قبره الاجتماعات والندوات

---

[١] انظر: تاريخ المعتقدات والافكار الدينية- ميرسيا الياد(٢/٢٣).

[٢] انظر: الفلسفة الشرقية - محمد غلاب (٢٦١-٢٦٢).

العلمية، ثم بنوا معبدا قرب قبره، ثم أخذوا باستلهام أفكاره، ثم وصلوا إلى تقديسه، ولم يمض على موته زمن طويل حتى ميزوه بلقب "الإله الأسمى" ورفعوه إلى مقام الإله بوصفه إلهاً بين الناس على الارض، وانطلقوا يعبدونه. ولكن هذه النزعة لم تستمر طويلاً واختفت في القرن الأول بعد الميلاد، حيث تغلب عليها العقلاء داخل المدرسة، وأعادوا كونفوشيوس إلى مقام المعلم الحكيم مرة أخرى. وقد استمرت التعاليم الكونفوشيوسية عبر القرون والأحقاب موضع تبجيل، ولها تأثيرها الطاغي لا في الصين وحدها، بل في كوريا واليابان والهند، وتجاوز تأثير آرائه الشرق الأقصى، فوصل إلى أوروبا الغربية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر[١].

وفي سنة ١٩١٠م ظهر شهاب هالي Halley في الأجواء الصينية فاعتبر ذلك استياء من الآلهة على أسرة مانتشو التي

---

[١] انظر: الكونفوشيوسية ماضيها حاضرها موقف الاسلام منها- ناصر بن فلاح الشهراني (١٨٥-١٩٠).

بلغ الفساد في عهدها قمته مما أدى إلى ثورة شعبية انتهت بتنازل الإمبراطور عن العرش سنة ١٩١٢م وتحول الصين إلى النظام الجمهوري مما أدى إلى اختفاء الكونفوشيوسية من الحياة الدينية والسياسية، لكنها بقيت ماثلة في الأخلاق والتقاليد الصينية. وفي سنة ١٩٢٨م صدر قرار بتحريم تقديم القرابين لكونفوشيوس ومنع إقامة الطقوس الدينية له. وعندما استولى اليابانيون على منشورياً عادت الصين إلى استنهاض الهمم بالعودة إلى الكونفوشيوسية وعاد الناس في عام ١٩٣٠ - ١٩٣٤م إلى تقديم القرابين مرة ثانية، كما أعيد تدريس الكونفوشيوسية في كل مكان لاعتقادهم بأن نكبتهم ترجع إلى إهمالهم تعاليم المعلم الأكبر، وسادت حركة إحياء جديدة بزعامة تشانج كاي شيك، وقد استمرت هذه الحركة إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية. وفي عام ١٩٤٩م سيطرت الشيوعية على الصين، ولكن شيئاً فشيئاً بدأت الخلافات بين الصين والاتحاد السوفيتي بالظهور مما أوجد

تبايناً بين كل منهما، وبعد موت الزعيم الصيني الشيوعي الشهير ماو تسي تونج بدأ التراجع عن الشيوعية في الصين، وبدأت رياح الغرب تهب عليها. ويعتقد الباحثون بأن الروح الكونفوشيوسية ستعمل على تغيير معالم الشيوعية مما يجعلها أبعد ما تكون عن الشيوعية الروسية التي انهارت، لما للكونفوشيوسية من سيطرة روحية على الشعب الصيني[1].

الطاوية:

الطاوية إحدى أكبر الديانات الصينية القديمة التي ما تزال حية إلى اليوم، إذ ترجع إلى القرن السادس قبل الميلاد، مؤسسها الفيلسوف لوتس الذي رأى أن الخير في الزهادة والاعتزال والعفو والتسامح مع الناس وعدم مقابلة السيئة بالسيئة. ولم يثبت أنها ديانة سماوية. وتقوم في جوهر فكرتها على العودة إلى الحياة الطبيعية والوقوف موقفاً سلبياً من

[1] انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/ ٧٥١).

الحضارة والمدنية، وكان لها دور هام في تطوير علم الكيمياء منذ آلاف السنين وذلك من خلال مسيرتها في البحث في إكسير الحياة ومعرفة سر الخلود. ويعتقد بأن لوتس Laotse الذي كان ميلاده عام ٥٠٧ ق. م هو صاحب مذهب الطاوية التي تُرجع بعض معتقداتها إلى زمن سحيق، وقد التقى به كونفوشيوس فأخذ عنه أشياء وخالفه في أشياء أخرى. وهناك عوامل تأثر وتأثير بين الطاوية والكونفوشيوسية والبوذية بسبب توطن هذه الديانات في منطقة واحدة متجاورة، حيث يمكن ملاحظة فكرة التصوف التي يعبر عنها بأساليب مختلفة ولكن في مضمون واحد. والطاوية أقرب إلى الكونفوشيوسية منها إلى البوذية. وأخذ الطاويون عن البوذيين بناء الأديرة وتقرير الرهبنة والعزوبية[١]. ولما رأى الكهنة ورجال الدين ما فعله أصحاب كونفوشيوس من تأليهه حذوا حذوهم وبدأوا يؤلهون "خانغ

---

[١] انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/ ٧٣٥-٧٣٩).

دي" ويقدسون " لوتس" حتى نشأت الديانة الطاوية فيما بعد[1]. وذلك أنه وبعد موت " لوتس" بسنوات تحولت الطاوية من عقيدة فلسفية لا يعرف الناس عنها إلا القليل إلى عقيدة تؤمن بمعبودات لم يذكرها صاحب العقيدة أيام حياته قط، وراح أتباعه يعبدون كل أنواع التنين والفئران وبنات آوى والثعابين، ولم يكتف الطاويون بكل هذه العبادات، فقد راحوا يعتقدون في أشياء أخرى غريبة فامنوا بأن هناك رماداً معيناً ونوعاً آخر من الحجارة والكتابة لها قوة أكثر من السحر إذا حملها المرء فإن الرصاص لا ينفذ فيه ولا يستطيع أن يقضي على حياته بل إن حامله لا يمكن أن يغرق في الماء قط كما لا تستطيع النار أن تحرقه

[1] انظر: الكونفوشيوسية ماضيها حاضرها موقف الاسلام منها- ناصر بن فلاح الشهراني (ص:١٨٧).

وبمضي الزمن زاد اعتقادهم في الشياطين والمردة والجن ومصاصي الدماء والغيلان وكل أرواح الشر[١].

والطاوية يؤمنون بوحدة الوجود إذ إن الخالق والمخلوق شيء واحد لا تنفصل أجزاؤه وإلا لاقى الفناء. ونظرتهم إلى الإله قريبة جداً من مذهب الحلولية الذي يذهب إلى أن الخالق حالٌّ في كل الموجودات، كما أن الخالق لا يستطيع أن يتصرف أو يعمل إلا بحلوله في الأشياء. والطاوية تتجه اتجاهاً سلبياً – على عكس الكونفوشيوسية – ذلك لأن الفضيلة لديهم تكمن في عدم العمل والاقتصاد على التأمل داعين إلى الحياة على الجبال المقدسة وقرب الجزر النائية. ويهاجمون الشرائع والقوانين والعلم وما إلى ذلك من مظاهر المدنية التي عملت على إفساد فطرة الإنسان الذي ولد خَيِّراً. ومثلهم الأعلى في ذلك هو في العودة إلى النظام

---

[١] انظر: قصة الديانات– سليمان مظهر (ص:٢٣٦).

الطبيعي المتميز بنقاء الفطرة وسلامتها. واهتم الطاويون بطول العمر، ويعتبر التقدم في السن دليلاً على القداسة حتى صار من أهداف التصوف الطاوي السعي لإطالة العمر والخلود، وقد ذهب بعضهم إلى ادعاء إمكانية إطالة العمر مئات السنين. وليس لديهم بعث ولا حساب، إنما يكافأ المحسن بالصحة وبطول العمر بينما يجازى المسيء بالمرض وبالموت المبكر(١).

(١) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/ ٧٣٧-٧٣٨).

دلائل وجود التوحيد في الديانات المصرية القديمة

كان أول من سكن مصر بعد أن أغرق الله قوم نوح "بيصر بن حام بن نوح"، وهو أبو القبط كلهم، ثم توفي بيصر بن حام، واستخلف ابنه مصر، ثم توفي مصر بن بيصر، فاستخلف ابنه قِفط. وفي بعض التواريخ: لما مات مصر، كتب على قبره: "مات مصر بن بيصر بن حام بن نوح بعد ألفين وستمائة عام من الطوفان، مات ولم يعبد الأصنام، ولا هرم ولا أسقام"(١). فالمصريون كانوا على التوحيد ثم انحدروا إلى الشرك، وقد اتخذوا آلهة متعددة كل منها إله قائم بذاته له أوصافه وخصائصه، وإن كان لا يمنع من اعتقادهم بإله هو كبير هذه الآلهة، بدليل ما جاء في أناشيدهم من مناجاة وأدعية لهذا الإله(٢).

(١) انظر: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة- جلال الدين السيوطي (١/ ٣٥-٣٦).

(٢) انظر: تاريخ التوحيد في حياة البشرية دراسة عقدية مقارنة- هيا بنت إبراهيم العتيبي(ص: ٢٢٣).

وتدل بعض أوراق البردي المحفوظة الآن في برلين وفي لندن على أن المصريين منذ القدم كانوا يعرفون الإله الأحد، الغيبي، الأزلي، الذي لا تصوره الرسوم، ولا تحصره الحدود غير أن تلك العقيدة الروحية كانت مشوبة عند العامة بفكرة أن هذا الإله يتمثل أو يتجسد أو يحل سره في بعض الكائنات الممتازة: من إِنسان أو حيوان أو جماد[١]. ولم يلبث ذلك الدين الذي بدأ بالتوحيد أن انتهى بالشرك والوثنية التي خالطت العبادة على يد الكهنة أخيرا[٢].

---

[١] انظر: الدين – محمد عبد الله دراز (ص:١٠).

[٢] دعوة التوحيد – محمد خليل هراس (ص:١٥٣).

دلائل وجود التوحيد في معتقدات قدماء اليونان

كان اليونان يعتقدون أنهم أصيلون في جزيرتهم، والحقيقة أنهم جاءوا من آسيا فهم آريون أو هنديون أوروبيون، وكانوا أربع قبائل كبرى مختلفة خلقة ولهجة: الأيوليون والدوريون في الشمال، والآخيون والأيونيون في الجنوب، ولكن هذا التقسيم اضطرب في القرن الثاني عشر قبل الميلاد[١].

أما تاريخ العقيدة في بلاد اليونان فقد حفل بجميع أنواع العقائد البدائية قبل «أرباب الأوليمب» الذين خلدوا في أشعار هومير وهزيوذ. فعبدوا الأسلاف والطواطم ومظاهر الطبيعة ومزجوا هذه العبادات جميعًا بطلاسم السحر والشعوذة، واستمدوا من جزيرة «كريت» عبادة النيازك وحجارة الرواسب التي شاعت بين أهل الجزيرة من أقدم عصورها البركانية، ولما شاعت بين الإغريق عبادة «أرباب

[١] الفلسفة والمدارس المحدثة – كامل محمد عويضة (ص: ١٣).

الأوليمب» كان من الواضح أنها أرباب مستعارة من الأمم التي سبقتهم[1]. ولم يفلح الباحثون المحدثون في تحديد أصول الأساطير اليونانية، وما زالوا مختلفين حول منبتها وكتَّابها، وتعليل مدى التشابه بين قصصها وبين نظائرها في الثقافة المصرية والبابلية والفينيقية والمينوية[2]. ومما يرويه الاغريق القدماء وله صلة بمعتقداتهم ما ذكروه عن الطوفان وهو أن كبير آلهتهم "زيوس" خلق "يندورا" وهي أول امرأة في الوجود من الطين ومنحها كثيرا من الهدايا ومن بينها صندوق أوصاها أن تعطيه لمن يتزوجها فأخذه "ايمثيس" وتزوجها وبينما كان يتسامران إذ بها تعبث بالصندوق ثم

---

[1] فالإله «زيوس» أكبر أرباب الأوليمب هو الإله «ديوس» المعروف في الديانة الهندية الآرية القديمة، واسمه متداول في العبادات الأوروبية جميعًا مع قليل من التصحيف بين اللغات واللهجات، والربة أرتميس – ومثلها الربة أفروديت أو فينوس – هي الربة عشتار اليمانية البابلية، ومنها كلمة «ستار» التي تدل على النجم في بعض اللغات الأوروبية الحديثة. والربة «ديمتر» هي إزيس المصرية كما قال هيرودوت، وهي واحدة من أربابٍ كثيرة تشابهت عبادتها في بلاد الإغريق وعبادتها بين قدماء المصريين. انظر: الله–عباس محمود العقاد (ص:١٠١).

[2] الفكر الديني عند اليونان – د. عصمت نصار (ص: ٢٥).

تفتحه فتخرج منه نحلة وتلسعها ويثب منه كلب كبير ويعقر زوجها، ثم تخرج الشرور متتابعة من غيرة وحسد وحروب وأمراض على اختلاف أنواعها ويعاتبها زوجها فتنحي عليه باللائمة لأنه لم يمنعها ... وعمت المفاسد والشر بين الناس وتلبدت السماء بالسحب وهطلت الأمطار مدرارا فملات السهول والوديان وفاضت البحار والمحيطات وغرق كل ما على الارض وهبت عاصفة هوجاء فأغرقت جميع السفن إلا واحدة وكان باليونان وقتئذ رجل يقال له "ديوكاليون" وامرأة تدعى "بيرها" وكانا من الأتقياء المتعبدين فنجاهم الإله وركبا السفينة التي حملتهما الى جبل "يرناسس" ولم يكن قد غمرت قمته المياه حتى توقف نزول الأمطار وانحسر معه البحار عن الارض فنزل فوجد ارضا مقفرة فصاح يا ويلتنا كيف يتسنى لنا العيش على هذه الحال وسمع صوتا ينادي في الفضاء سيعمر الكون مرة أخرى ..[1].

---

[1] انظر: الإنسان في ظل الأديان-المعتقدات والأديان القديمة- د. عمارة نجيب (٢٧٦-

وليس هناك شك في أن اليونان قد تعرفوا على ما كان للشعوب الشرقية من حكمة وديانات وأخلاق، وأنهم استفادوا من التراث الذي خلفته هذه الشعوب، ويؤيد ذلك رحلات كل من طاليس وأفلاطون إلى مصر، وما يُروى من رحلات فيثاغورس إلى مصر وسوريا وبابل. فالمفكرون الشرقيون من مصر وفارس والهند والصين وفلسطين هم الذين فجروا الينابيع التي هبط منها الوحي على الفلاسفة اليونانيين ومن جاءوا بعدهم[1].

ولقد أجمعت المراجع التاريخية على أن اليونانيين قد استمدوا مبادئ حضارتهم من الامم الشرقية، فالأصول شرقية ولكن جاءت الصياغة في أسلوب يوناني ميثولوجي خاص يمازجه

٢٧٧)،الفلسفة والمدارس المحدثة – كامل محمد عويضة (ص: ١٢٩).

[1] تمهيد للفلسفة– محمود حمدي زقزوق(ص:٣٩).

الخيال والشعر اللذان اشتهرت بهما اليونان، ولها من جو بلادها الشاعري ما يساعد على ذلك[1].

[1] انظر: الأديان الوضعية في مصادرها المقدسة وموقف الاسلام منها - ابراهيم محمد إبراهيم(ص:٢١٣).

وجود التوحيد عند العرب قبل الإسلام في الجزيرة العربية

العرب قد عرفوا التوحيد منذ الأزمنة الغابرة، ولكن جرت عليهم سنة الله في التبديل والتحويل، فخالفوا الحق الذي كانوا عليه، وخلطوا به الباطل، فبعث الله تعالى أنبياءه ورسله، فمنهم من آمن ومنهم من كفر، فأهلك الله الكافرين، ونصر المتقين، ولا زالت سنته قائمة فيمن بقي، والشيطان أشد حرصا على إغوائهم، حتى بعث الله تعالى نبيه وخليله إبراهيم وابنه إسماعيل فجدد للناس التوحيد، وأعادهم إلى عبادة الله تعالى وحده، ونبذ كل ما يعبد من دونه، فآمنت بهما قبائل من العرب ممن سكنوا مكة المكرمة وما حولها، ثم تطاول على الناس العهد، واندرس دين إبراهيم وإسماعيل وعاد الناس إلى الشرك والوثنية مع بقايا شيء من دين الحنيفية، إلى أن بعث نبي الرحمة محمد

صلى الله عليه وسلم إلى البشرية جمعاء فأخرجهم من ظلمات الشرك والجهل إلى نور التوحيد والإيمان[١].

[١] تاريخ التوحيد في حياة البشرية دراسة عقدية مقارنة- هيا بنت إبراهيم العتيبي(ص: ٢٧٠).

الفصل الثاني

أثر الأديان الوضعية والعقائد الوثنية على:

- اليهودية
- النصرانية
- الفرق والطوائف المنتسبة للإسلام

لقد كان للاضطهاد الذي حصل لليهود والنصارى عبر فترات طويلة من التاريخ دور كبير في فقدان كتبهم المقدسة ووقوع التحريف فيها، الأمر الذي أدى إلى تسرب الأديان الوضعية والعقائد الوثنية إلى ديانتهم، حيث نفذت الأهواء والأساطير إليها، خاصة تلك التي كانت شائعة بين الهنود والمصريين واليونانيين والرومانيين وغيرهم، كما أن كثيرا من الفرق المنتسبة للإسلام هي أيضاً لم تسلم من هذا التأثر حيث ظهرت فيها الأفكار الباطنية والعقائد المنحرفة والتي ترجع في أصولها وجذورها إلى أديان وثنية وفلسفات منحرفة.

اليهودية:

اليهودية من حيث التسمية قد جاءت متأخرة عن زمن موسى عليه السلام ولم تطلق في عصره، ومن ثم فإن مصطلح اليهودية الذي تسمى به الديانة الإسرائيلية لا ينسحب على دين موسى عليه السلام، وإذا كان الأمر كذلك فإن دين موسى عليه السلام الذي هو الاسلام مخالف تماما للديانة اليهودية التي كونها اليهود وسميت باليهودية بعد موته بفترة، والقران الكريم لا يعترف بهذه الديانة اليهودية ولا يقرها على أنها دين موسى عليه السلام[1]. قال الله تعالى:﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [آل عمران: ٦٧]، وقال تعالى:﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴿١٣٠﴾﴾ [البقرة: ١٣٠]. قال ابن جرير:

---

[1] انظر: تأثر اليهودية بالأديان الوثنية-فتحي محمد الزغبي (ص:٩٥).

وإنما عنى الله بذلك اليهود والنصارى، لاختيارهم ما اختاروا من اليهودية والنصرانية على الإسلام، لأن"ملة إبراهيم" هي الحنيفية المسلمة[1]. فاسم اليهودية حدث بعد موسى، كما حدث لليهود تقاليد كثيرة صار مجموعها مميزا لهم، فاليهود أضافوا التلمود إلى ما عندهم من التوراة، وسموا مجموع ذلك مع تفاسيره وآراء أحبارهم فيه اليهودية[2]. فبسبب فقدان اليهود للتوراة وتحريفهم لها وانتفاء قدسية بقية أسفار العهد القديم، لم يكن لديهم حفظ للوحي الصحيح يصون عقائدهم وشرائعهم عن التأثر بالأديان الوثنية، ويضمن لهم بقائها واستمرارها ويقيهم شر الوثنيات التي تسربت إليهم واختلطت بأفكارهم وامتزجت بعباداتهم المنزلة على موسى عليه السلام[3]. وقد أجمع معظم علماء الأديان تقريبا بما

---

[1] تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (٣/ ٨٩).

[2] انظر: تفسير المنار (١/ ٣٩٦،٤٠٢).

[3] انظر: تأثر اليهودية بالأديان الوثنية–فتحي محمد الزغبي (ص: ٣١٢).

فيهم اليهود على أن اليهودية بوضعها الحالي هي غير الدين الذي جاء به النبي موسى عليه السلام[1].

تأثر اليهودية بالأديان الوثنية:

مما ساعد على تأثر اليهودية بالأديان الوثنية أن الإسرائيليين قد أُضطهدوا في مصر سنوات طويلة وعانوا فيها ظلم العبودية وبؤس السحرة، ثم تاهوا في البرية أربعين سنة يهيمون على وجوههم في ضلال وضياع، وحين دخلوا كنعان ظلوا في نزاع دائم وحرب مستمرة في عهد يشوع، وفي عصر القضاة لاقوا الذل والمرارة على أيدي شعوب فلسطين، ولم يشعروا بكيانهم إلا في عصر المملكة الموحدة وخاصة في عهدي داوود وسليمان عليهم السلام، ولكن سرعان ما تتجزأ المملكة ويدخل عصر الانقسام بنزاعاته الدائمة وصراعاته المستمرة حتى تزول مملكة الشمال ويتم

[1] التوراة تاريخها وغاياتها- ترجمة: سهيل ديب (ص:٦).

تخريب السامرة على أيدي الاشوريين ويقع السبي الاشوري ٧٢٢ق.م. وتنتهي مملكة الجنوب ويتم تدمير أورشليم على أيدي البابليين ويحدث السبي البابلي ٥٨٠ ق. م. وما أن ينعموا بفترة من الهدوء في العصر الفارسي حتى يفجعهم الاضطهاد اليوناني ويبدأ الشتات الهيليني، ثم يجيء الاضطهاد الروماني وتحرق أورشليم بهيكلها عام ٧٠، ثم تكون الإبادة الشاملة عام ١٣٥م ويبدأ الشتات الروماني أو ما يعرف بالشتات الأخير، فعاش اليهود أغلب حياتهم تحت سياط القهر والاستعباد، وعانوا مزيدا من الذل والاضطهاد، وصحب كل ذلك تحريق وتخريب وتدمير، وانتهى كل ذلك أيضا إلى تيه وضياع وإلى سبي وتشريد وشتات، وقد أدى هذا كله إلى زلزلة كيان اليهودي وانهياره داخليا وانهزامه نفسيا مما ساعد على تقبله الأفكار الوثنية

واستغراقه الكامل في عقائدها وعكوفه الدائم على طقوسها وعبادتها[1].

من ذلك أن اليهود كتبوا تاريخهم بأيديهم، وخلعوا عليه صفة التقديس، لكن علماء الآثار والمؤرخين سرعان ما كشفوا بطلان هذه الدعوى، وفضحوا ما في هذا التاريخ من زعم وزيف وتحريف وتزوير، وبينوا ما اشتمل عليه من تناقض ووثنية، وكشف العلماء عن تأثر اليهود في كتابة أسفارهم بآداب وأفكار وعقائد الشعوب الوثنية القديمة، حيث تأثروا في كتابة بعض المزامير بالأدب المصري القديم، وكذلك الأمر في سفري الأمثال ونشيد الإنشاد، وإن كان الأخير قد استقى بجانب المصدر المصري بالمصدرين البابلي واليوناني، وأما سفر الجامعة فقد تأثر كاتبه بالثقافة اليونانية، مع ملاحظة أن نسبة هذه الأسفار إلى داوود وسليمان

(1) انظر: تأثر اليهودية بالأديان الوثنية-فتحي محمد الزغبي (٣٠٢-٣٠٣).

عليهم السلام نسبة باطلة وهذا ما انتهى إليه نقاد الكتاب المقدس، ومن أمثلة تأثر اليهودية بالأديان الوثنية أن التوراة السماوية كانت تشتمل على قصص الخلق والغواية والطوفان، لكن اليهود خلطوا بين نصوص الوحي الخاصة بهذه القصص وبين ما اطلعوا عليه من الثقافات الوثنية القديمة، سواء في كنعان أو في بابل فشوهوا النصوص الأصلية لهذه القصة حتى زالت عنها صفة الوحي، واعتراها كثير من التناقضات والاختلافات واشتملت على أفكار وعقائد وتصورات وثنية، وثبت بالأدلة القاطعة من خلال نصوصهم الصريحة انحراف اليهود عن تنزيه الذات العلية الذي جاء به الوحي، واتجهوا إلى التشبيه والتجسيم ووصف الله سبحانه بصفات لا تليق به وقد ذكر العلماء أن الإسرائيليين اقتبسوها من الكنعانيين، ومن أمثلة تأثر اليهودية بالأديان الوثنية أنه كان من عادات الأمم القديمة أنَّ لكل مدينة ولكل قبيلة إلهها الخاص مع اعترافها بطائفة

من الآلهة، وهكذا اليهود تصوروا الله بصورة قبلية فاتخذوا إلها قبليا أو قوميا خاصا بهم مع الاعتراف بآلهة أخرى للشعوب الوثنية، ومن ثم فكان من السهل أن يتخذوا آلهة هذه الشعوب وأن يعبدوها من دون الله فعبدوا آلهة المصريين والكنعانيين والاشوريين والبابليين وغيرهم[1].

الحركة الإصلاحية اليهودية

بسبب عدم وجود معيار ديني يمكن به معرفة اليهودي من غيره، وكثرة المتناقضات في كتبهم، وتقديس كلام الحاخامات، وغير ذلك، ظهرت الحركات الإصلاحية اليهودية من قديم، ولكن ما سُمي بالحركة الإصلاحية في الآونة الأخيرة، كان نتاجاً لذلك كله، فما دام الأمر يعود إلى الجنس لا إلى العقيدة فاختر ما تشاء ودع ما تشاء مادام أنه في نهاية الأمر يهودياً. وهي حركة دينية يهودية

[1] انظر: تأثر اليهودية بالأديان الوثنية-فتحي محمد الزغبي (٧٣٦-٧٣٧)، (٦٣٩،٦٨٥).

ظهرت في القرن التاسع عشر الميلادي، وهي تمثل اتجاهاً إصلاحياً تنويراً تجديدياً يقبل الآخر، ويحاول التعايش معه ويؤكد على الجانب الإنساني ويعمقه، ويدعو إلى التخلي عن العقائد اليهودية، والطقوس الدينية القديمة، فمثلاً : حذفت من الصلوات اليهودية أية إشارات لإعادة بناء الهيكل، وللعودة، وللأرض المقدسة، وسمي هذا الاتجاه بالتيار الغربي؛ نظراً لانتشاره الواسع بين يهود غرب أوربا، وهي أيضاً ثورة على تعاليم اليهودية الحاخامية التي ترى ضرورة التمسك الصارم بحرفية التعاليم التوراتية القديمة، وشعائرها الجامدة، والحفاظ على انعزالية اليهود، وهي التي تُسمى التيار الشرقي، نسبة إلى شطر أوربا الشرقي، وهي حركة علمانية تقدس العقل؛ وتهمش الغيب بل تلغيه تماما وتتبنى مطلقات علمانية مثل: روح العصر ونحوها. كما أن لحركة الإصلاح الديني البروتستانتية التي همشت دور البابوات والقساوسة، وجعلت الكتاب المقدس مطروح لكل

أحد يفهمه دون الحاجة إلى من يفسره، أثر في الحركة اليهودية الإصلاحية التي حاولت نقد الديانة اليهودية، ومحاولة نزع القداسة عن أقوال الحاخامات، والتعامل معها على أنه ضمن الأقوال، لا أنها ملزمة مقدسة لا يمكن بحال الانفكاك عنها [١].

ومما تجدر الإشارة إليه أن من أهم الكنائس البروتستانتية بالإضافة إلى "الكنيسة اللوثرية"، و"الكنائس المصلحة"، هي: "الصهيونية المسيحية"، حيث كان لليهود المهاجرين من أسبانيا إلى أوربا وبخاصة فرنسا وهولندا أثرهم البالغ في تسرب الأفكار اليهودية إلى النصرانية من خلال حركة الإصلاح، وبخاصة الاعتقاد بأن اليهود شعب الله المختار، وأنهم الأمة المفضلة، كذلك أحقيتهم في ميراث الأرض المباركة [٢].

[١] انظر: الحركة الإصلاحية اليهودية عرض ونقد د. مشاعل باقاسي (١٤٠-١٥٤).

[٢] انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/ ٦١٨-٦١٩).

النصرانية:

النصارى هم الذين يزعمون أنهم أتباع عيسى عليه السلام، وصفوا جلال الله وكبريائه بما لا يليق بعاقل أن يصف الإله به، وهو اتخاذ الزوجة والولد[١]، وقد ظهر دينهم بشكل لو رآه الحواريون الذين أخذوا الدين عن المسيح مباشرة لما عرفوا أي دين هو[٢]. وقد اتفقت المصادر شرقية وغربية، دينية وغير دينية: على أن المسيحيين نزل بهم بعد المسيح بلايا وكوارث، جعلتهم يستخفون بديانتهم، ويفرون بها أحياناً ويصمدون للمضطهدين مستشهدين أحياناً أخرى، وهم في كلتا الحالين لا شوكة لهم، ولا قوة تحميهم، وتحمي ديانتهم وكتبهم، وإنه في وسط هذه الاضطهادات يذكرون إنه

[١] انظر: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٢/ ٤٥٨).

[٢] تفسير المنار (١/ ٣٩٦).

دونــت أناجــيلهم الأربعــة الــتي يؤمنــون بهــا، ودونــت رسائلهم!![1].

وفي ظـل هـذه الأجـواء المضـطربة أعلـن شـاول الطرسوسـي اليهـودي الفريسـي، صـاحب الثقافـات الواسـعة بالمـدارس الفلسفية والحضارات في عصره، وتلميذ أشهر علماء اليهود في زمانـه عمالائيـل، أعلـن شـاول الـذي كـان يُـذيق أتبـاع المسيح سوءَ العذاب، إيمانه بالمسيح بعد زعمه رؤيته عند عودته من دمشق، مؤنباً له على اضطهاده لأتباعه، آمراً له بنشـر تعاليمـه بـين الأمـم، فاستخف الطـرب النصـارى، في الوقت الـذي لم يصـدقه بعضـهم، إلا أن برنابا الحواري دافـع عنه وقدمه إلى الحواريين فقبلوه، وبما يمتلكه من حدة ذكاء وقوة حيلة ووفرة نشاط استطاع أن يأخذ مكاناً مرموقاً بين الحواريين وتسمى بـ بولس[2]. وقد سيطرت عقائد وأفكار

(١) محاضرات في النصرانية- محمد أبو زهرة (ص: ٢٩).

(٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/ ٥٦٦).

بولس على النصرانية، يقول دبليو ريد:" إن بولس قد غير النصرانية لدرجة أنه أمسي مؤسسها الثاني، إنه في الواقع مؤسس المسيحية الكنسية"[(١)]. فابتعد بمعتقده الوثني عن تعاليم المسيح وتلاميذه، لتظهر المسيحية بثوبها الجديد الذي نسجه بولس، وليختفي التلاميذ والحواريون في أتون الاضطهادات الرومانية[(٢)].

أثر الأديان الوضعية والعقائد الوثنية في الديانة النصرانية

لقد كان لضياع الإنجيل الصحيح أثر في تسرب الأديان الوضعية والعقائد الوثنية إلى ديانة المسيح حيث نفذت الأهواء والأساطير إليها، ولم تجد من يردها بنص قاطع يسلم له الجميع، ويكون ميزانا للحق والباطل، ومقياسا تقاس به الآراء، هذا إلى جانب أن تلك الأناجيل ليس لها من السند

---

(١) الأديان بين السماء والأرض- علي عبد اللطيف أبو سمعان(ص: ١٢٣).

(٢) انظر: الله جَلَّ جلالَهُ واحد أم ثلاثة – د. منقذ السقار (ص: ٢٢٧).

المتصل الصحيح بينها وبين من نسبت اليه، وأيضا ليست متسقة اتساقا ذاتيا، فهي متناقضة متضاربة مليئة بالاختلافات والأغلاط مما لا يصح معه نسبتها الى الله تعالى، وقد كان التجسد والقول بألوهية المسيح من أوائل العقائد الوثنية التي تسربت الى المسيحية وهي عقيدة كانت منتشرة في الأديان الوضعية المنتشرة وقت ظهور المسيحية، فكانت شائعة بين الهنود والمصريين واليونانيين والرومانيين وغيرهم، فكانوا يقدسون بعض أفراد البشر على أساس أنهم آلهة متجسدون. وعقيده التثليث من العقائد الوثنية التي دخلت المسيحية أيضا وهي عقيدة كانت منتشرة في معظم الأديان الوثنية المنتشرة وقت ظهور المسيحية، فالبراهمة كانوا يعتقدون بأن الله واحد في ثلاثة أسماء: برهما- فشنو- سيف، والبوذيون يعبدون إلها مثلث الأقانيم يسمونه "فو"، وكان التثليث شائعا بين المصريين القدماء على أنهم ثلاثة أقانيم لإله واحد، وفي الديانة البابلية كان هناك أكثر من

ثالوث أهمها الثالوث الذي يتكون من: آنو- أنليل- أيا، وكان اليونانيون يقولون إن الإله مثلث الأقانيم وإذا شرع قسيسوهم بتقديم الذبائح يرشون المذبح بالماء المقدس ثلاث مرات إشارة الى الثالوث، والنظرية الأساسية في فلسفة أفلوطين هي قوله بالثالوث الذي يتألف من: الواحد والعقل والنفس. وعقيدة الصلب والفداء من العقائد الوثنية التي دخلت المسيحية، سرت إلى المسيحية عن طريق بولس وأتباعه فهو أول من نادى أن المسيح ابن الله نزل ليخلص البشرية من الخطيئة والآثام، خاصة وأن فكرة موت الإله وبعثه من أجل خلاص البشر ظهرت بين الهنود والمصريين واليونانيين والرومانيين وغيرهم كثير منذ فترة طويلة، وظلت تدور في الأديان الوثنية جميعها أو معظمها وتترك طابعها فيها حتى تجلت واضحة فيما بعد في الديانة المسيحية، ولم تكتفي المسيحية بأن استقت أُصول عقائدها من الوثنية، بل وجدناها أيضا قد أخذت عن الوثنية شعائرها وأعيادها،

فالتعميد قد وُجد بين المصريين والفارسيين القدماء، ولدى البرهميين القدماء، وطقوس الأديان اليونانية. والعشاء الرباني والاشتراك الجماعي في تناول الطعام والشراب المقدسين، من المظاهر الكثيرة الحدوث في أديان البحر الأبيض المتوسط، وكثيرا ما كان أهل هذه الأديان يعتقدون أن هذا الطعام ستحل فيه بهذا التقديس قوى الإله، ثم تنتقل منه بطريقة سحرية خفية إلى المشتركين في تناوله، فكانت فكرة التناول منتشرة بين الهنود والفارسين واليونانيين والرومانيين وغيرهم. وتحديد يوم الأحد بكونه عيدا للرب مأخوذ من الوثنية التي جعلت هذا اليوم عيدا للشمس، ولا زال هذا اليوم يدعى في بعض اللغات بيوم الشمس. بل إن تحديد عيد الميلاد وعيد القيامة بتواريخ معينة مأخوذ أيضا من الوثنية[١].

---

[١] انظر: تأثر المسيحية بالأديان الوضعية - أحمد علي عجيبة (٦٣٨-٦٤١)،(٣٨٩،٤٩٣،٥٧٢،٦٠٤،٦١٨،٦٣٢،٦٣٣).

التوحيد في التاريخ النصراني

إن المصادر المسيحية الموثوق فيها لا تملك سوى الإقرار بأن دعوة المسيح كانت توحيد الله، ثم ما لبثت أن دخل عليها صنوف من عقائد أهل الشرك حتى إذا ما جاء القرن الرابع الميلادي كانت عقيدة التثليث المسيحي واحدة من نتاج ما يسمى بالمجامع المسيحية المقدسة. إن هذا مجمل ما تذكره دائرة المعارف الأمريكية في قولها: " لقد بدأت عقيدة التوحيد - كحركة لاهوتية - بداية مبكرة جدا في التاريخ، وفي حقيقة الأمر فإنها تسبق عقيدة التثليث بالكثير من عشرات السنين[١]. ووردت في الأناجيل عبارات كثيرة تقرر توحيد الله وتفيد بوضوح أن المسيح بشر رسول[٢]، وورد في

---

[١] مناظرة بين الإسلام والنصرانية (ص: ١٦٤).

[٢] ومن هذه العبارات: يروي متي عن عيسى قوله: إن أباكم واحد الذي في السماوات (إصحاح ٢٣ الفقرة ٨). ويروي مرقص قول عيسى: الرب إلهنا إله واحد، وليس آخر سواه (١٢: ٣٠ - ٣١). وجاء في إنجيل متي: هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل (إصحاح ٢١ الفقرة ١١). لوقا: قد خرج فينا نبي عظيم (٧: ١٦). ويروي لوقا عن عيسى قوله: لا

دائرة المعارف البريطانية ما نصه: ولم يدع عيسى قط أنه من عنصر فوق الطبيعة، ولا أن له طبيعة أسمى من طبيعة البشر، وكان قانعا بنسبه العادي ابناً لمريم منسوبا من جهة الأب إلى يوسف النجار. ونشرت جريدة التايمز بتاريخ ١٥ يوليو سنة ١٩٦٦ وثيقة دينية اكتشفت حديثا، وقد جاء فيها ما ترجمته: "تعتقد المسيحية أن عيسى ابن الله المقدس ولكن مؤرخي الكنيسة يسلمون بأن أكثر أتباع المسيح في السنوات التالية لوفاته اعتبروه مجرد نبي آخر لبني إسرائيل"[١].

لكن أصالة التوحيد في الجيل الأول وقوته لم تمنع من انتشار دعوة بولس الوثنية في أوساط المتنصرين من الوثنين الذين وجدوا في دعوته مبادئ الوثنية التي اعتادوها، وقد عورضت

يمكن أن يهلك نبي خارج أورشليم. يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين (١٣: ٣٣). ويروي يوحنا: إن هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم (٦: ١٤ و ٧: ٤٠). ويروي يوحنا عن عيسى: وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله (٨: ٤٠).

[١] انظر: مقارنة الأديان، المسيحية – أحمد الشلبي (١٥٢- ١٥٤).

دعوة بولس من لدن أتباع المسيح، واستمر الموحدون يواجهون أتباع بولس، وظهر ما تسميه الكنسية في تاريخها بفرق الهراقطة، وهم الخارجون عن أراء الكنيسة الدينية، ومنهم الفرق التي كانت تنكر ألوهية المسيح. ومن أهم هذه الفرق: "الأبيونية" وتنسب إلى قس اسمه أبيون، وقيل: الأبيونية هم: الفقراء إلى الله، فسموا بذلك لفقرهم وزهدهم. وقد ظهرت هذه الفرقة في القرن الأول الميلادي من أصل يهودي، وقد نشطت هذه الفرقة بعد عام ٧٠م[1]. وقد ذكر معتقدات هذه الفرقة يوسابيوس القيصري (٢٦٤-٣٤٠م) في تاريخه منتقدا لها فقال: "قد كان الأقدمون محقين إذ دعوا هؤلاء القوم (أبيونيين)، لأنهم اعتقدوا في المسيح اعتقادات فقيرة ووضيعة، فهم اعتبروه إنساناً بسيطاً عادياً قد تبرر فقط بسبب فضيلته السامية"[2]. وفي فترة

---

[1] الله جل جلاله واحد أم ثلاثة- د. منقذ السقار (ص: ١٨٣).

[2] تاريخ الكنيسة- يوسابيوس القيصري (ص: ١٥٥).

نشأة هذه الفرقة (٧٣م) ظهر الداعية كرنثوس، ويسميه المؤرخ يوسابيوس: زعيم الهراقطة، وقد كان يعتقد أن المسيح كان مجرد إنسان بارز، كما رفض الأناجيل عدا "متى" (أي النص العبراني المفقود)[١].

ومن الفرق التي كانت تؤمن بالتوحيد أيضا: "فرقة الشمشاطي "، تنسب إلى "بولس الشمشاطي الأنطاكي" الذي كان في حدود ٢٦٠م، وكان ينكر أُلوهية المسيح ويرى أنه بشر ورسول[٢]، قال ابن حزم في "بولس الشمشاطي" وكان بطريركيا بأنطاكية قبل ظهور النصرانية وكان قوله التوحيد المجرد الصحيح وأن عيسى عبد الله ورسوله كأحد الأنبياء عليهم السلام خلقه الله تعالى في بطن مريم من غير ذكر وأنه إنسان لا إلهية فيه وكان يقول لا

(١) انظر: الله جل جلاله واحد أم ثلاثة- د. منقذ السقار (ص: ١٨٥).

(٢) دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند- محمد ضياء الرحمن الأعظمي (ص:٤٦٣).

أدري ما الكلمة ولا روح القدس[١]. ثم ظهرت "فرقة الأريوسية" نسبة إلى "آريوس"، قال ابن حزم: وكان قسيسا بالإسكندرية ومن قوله التوحيد المجرد وأن عيسى عليه السلام عبد مخلوق وأنه كلمة الله تعالى التي بها خلق السماوات والأرض[٢].

وفي عام ٣٢٥م صدر" مجمع نيقية" وهو أول قرار رسمي يؤله المسيح بعد تبني الإمبراطور الوثني قسطنطين لهذا الرأي، ورفض ما سواه، واعتبر آريوس- الذي عقد المجمع من أجله - هرطوقياً. وقد توفي آريوس ٣٣٦م، لكن دعوته انتشرت بعد وفاته، وقد نقل القس منسي يوحنا أن في أيام ثيوديسيوس الثاني صدر أمر باستئصال الأريوسية وإبادتها بموجب قانون تقرر في السلطنة الرومانية، وذلك سنة

---

[١] الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ٤٧).

[٢] الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ٤٧).

٤٢٨م، ومن ذلك العهد إلى الآن لم تعرف فرق بالحقيقة أريوسية حسب تعاليم آريوس[١].

وطوال قرون تعاقبت على النصرانية في ظل سيطرة الكنيسة لم ينقطع تواجد الموحدين، وإن ضعف نشاطهم وتواجدهم بسبب محاكم التفتيش وقوة الكنيسة وسلطانها. وعندما ضعف سلطان الكنسية واضمحل، عادت الفرق الموحدة للظهور، وبدأت عقيدة التثليث بالاهتزاز، وهو ما عبر عنه لوثر بقوله: "إنه تعبير يفتقد إلى القوة، وإنه لم يوجد في الأسفار". وشيئاً فشيئاً عادت الفرق الموحدة للظهور وازدهر نشاط الموحدين في أوربا، حتى إن ملك المجر هوجون سيجسموند (ت١٥٧١م) كان موحداً. كما ظهر سوسنس الموحد في بولندا (ت ١٦٠٤م)، وكان له أتباع يعرفون بالسوسنيون أنكروا التثليث، ونادوا بالتوحيد، وفر بعضهم

---

[١] انظر: الله جل جلاله واحد أم ثلاثة- د. منقذ السقار (١٨٧- ١٨٩).

من الكنسية إلى سويسرا. كما ظهر في ألمانيا مذهب الأناباست الموحد، واستطاعت الكنيسة سحقه. ثم ظهرت جمعيات تحارب التثليث منها "الحركة المضادة للتثليث"، وأنشأت في شمال إيطاليا في أواسط القرن السادس عشر، تلتها" الحركة المعادية للتثليث" والتي ترأسها الطبيب المشهور جورجيو بندراتا عام ١٥٥٨م، وفي القرن السابع عشر قويت بعض الكنائس الموحدة على قلة في أتباعها، وأصدر الموحدون عام ١٦٠٥م مطبوعاً مهماً جاء فيه "الله واحد في ذاته، والمسيح إنسان حقيقي، ولكنه ليس مجرد إنسان، والروح القدس ليس أقنوماً، لكنه قدرة الله". وفي القرن الثامن عشر سمي هؤلاء الموحدون بالأريوسيين، ومنهم الدكتور تشارلز شاونسي (ت ١٧٨٧م) راعي كنيسة بوسطن، وكان يراسل الأريوسيين الإنجليز. وفي القرن التاسع عشر الميلادي أسس في مناطق متعددة عدد من الكنائس الموحدة التي اجتذبت شخصيات مهمة مثل وليم شانج

(ت ١٨٤٢) راعي كنيسة بوسطن، وكان يقول: بأن الثلاثة أقانيم تتطلب ثلاثة جواهر، وبالتالي ثلاثة آلهة. وكان يقول: "إن نظام الكون يتطلب مصدراً واحداً للشرح والتعليل، لا ثلاثة، لذلك فإن عقيدة التثليث تفتقد أي قيمة دينية أو علمية". ومع مطلع القرن العشرين تزايد الموحدون، وزادوا نشاطهم، وأثمر بوجود ما يقرب من أربع مائة كنيسة في بريطانيا ومستعمراتها، ومثلها في الولايات المتحدة إضافة إلى كليتين لاهوتيتين تعلمان التوحيد هما مانشستر وأكسفورد في بريطانيا، وكليتين في أمريكا، إحداهما في شيكاغو، والأخرى في بركلي في كاليفورنيا، وما يقرب من مائة وستين كنيسة أو كلية في المجر، وغير ذلك في كافة دول أوربا النصرانية. ومن كل ما ذكرنا يتبين لنا أن التوحيد حركة أصيلة في المجتمع النصراني، تتجدد كلما نظر المخلصون

منهم في أسفارهم المقدسة، فتنجلي عن الفطرة غشاوتها، وتعلن الحقيقة الناصعة أن لا إله إلا الله[1].

[1] انظر: الله جل جلاله واحد أم ثلاثة- د. منقذ السقار (١٩١-١٩٦).

الفرق والطوائف المنتسبة للإسلام

لقد كان للاحتكاك بأهل تلك البلاد التي فتحها المسلمون سواء من الناحية الاجتماعية من تزاوج ومصاهرة، أو ثقافية من ناحية الاطلاع على علوم تلك البلاد والاستفادة منها لا سيما عن طريق الترجمة، أثر في تسلل المعتقدات المنحرفة وظهور الفرق والطوائف المبتدعة، وكلما ابتعد الناس عن السنن والإيمان كلما زاد ظهور البدع والنفاق كما قال ابن تيمية: كان القرن الأول من كمال العلم والإيمان على حال لم يصل إليها القرن الثاني، وكذلك الثالث وكان ظهور البدع والنفاق بحسب البعد عن السنن والإيمان، وكلما كانت البدعة أشد تأخر ظهورها، وكلما كانت أخف كانت إلى الحدوث أقرب، فلهذا حدث أولا بدعة الخوارج والشيعة ثم

بدعة القدرية والمرجئة وكان آخر ما حدث بدعة الجهمية [١].

الخوارج:

مسائل الإسلام والإيمان والكفر والنفاق مسائل عظيمة جدا، فإن الله علق بهذه الأسماء السعادة، والشقاوة، واستحقاق الجنة والنار، والاختلاف في مسمياتها أول اختلاف وقع في هذه الأمة، وهو خلاف الخوارج للصحابة، حيث أخرجوا عصاة الموحدين من الإسلام بالكلية، وأدخلوهم في دائرة الكفر، وعاملوهم معاملة الكفار، واستحلوا بذلك دماء المسلمين وأموالهم [٢]، والسبب الذي

---

[١] شرح العقيدة الأصفهانية (ص: ١٩٩).

[٢] ثم حدث بعدهم خلاف المعتزلة وقولهم بالمنزلة بين المنزلتين، ثم حدث خلاف المرجئة، وقولهم: إن الفاسق مؤمن كامل الإيمان. جامع العلوم والحكم ت ماهر الفحل (١/ ١١٦-١١٧).

له سموا خوارج خروجهم على علي بن أبي طالب[1]، وكل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين؛ أو كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة في كل زمان[2]. وقد ظهرت بوادر الخوارج على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فعن أبي سعيد رضي الله عنه، قال: بعث علي رضي الله عنه، إلى النبي صلى الله عليه وسلم بذهيبة فقسمها بين الأربعة الأقرع بن حابس الحنظلي، ثم المجاشعي، وعيينة بن بدر الفزاري، وزيد الطائي، ثم أحد بني نبهان، وعلقمة بن علاثة العامري، ثم أحد بني كلاب، فغضبت قريش، والأنصار، قالوا: يعطي صناديد أهل نجد ويدعنا، قال: «إنما أتألفهم». فأقبل رجل

---

[1] والذي له سموا محكمة إنكارهم الحكمين وقولهم: لا حكم إلا لله، والذي سموا له حرورية نزولهم بحروراء في أول أمرهم، والذي له سموا شراة قولهم: شرينا أنفسنا في طاعة الله أي بعناها بالجنة. مقالات الإسلاميين ت ريتر (ص: ١٢٧-١٢٨).

[2] الملل والنحل (١/ ١١٤).

غائر العينين، مشرف الوجنتين، ناتئ الجبين، كث اللحية محلوق، فقال: اتق الله يا محمد، فقال: «من يطع الله إذا عصيت؟ أيأمنني الله على أهل الأرض فلا تأمنوني» فسأله رجل قتله، - أحسبه خالد بن الوليد - فمنعه، فلما ولى قال: " إن من ضئضئ هذا، أو: في عقب هذا قوما يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد "[1]. وقد استشكل قوله "لئن أدركتهم لأقتلنهم" مع أنه نهى خالدا عن قتل أصلهم وأجيب بأنه أراد إدراك خروجهم واعتراضهم المسلمين بالسيف ولم يكن ظهر ذلك في زمانه، وأول ما ظهر في

[1] صحيح البخاري (٣٣٤٤). وقد استشكل قوله "لئن أدركتهم لأقتلنهم" مع أنه نهى خالدا عن قتل أصلهم وأجيب بأنه أراد إدراك خروجهم واعتراضهم المسلمين بالسيف ولم يكن ظهر ذلك في زمانه وأول ما ظهر في زمان علي كما هو مشهور. فتح الباري لابن حجر (٨/ ٦٩).

زمان علي كما هو مشهور[١]. قال الشافعي: بلغنا أن عليا - رضي الله تعالى عنه - بينما هو يخطب إذ سمع تحكيما من ناحية المسجد لا حكم إلا الله عز وجل فقال علي - رضي الله تعالى عنه - كلمة حق أريد بها باطل، لكم علينا ثلاث لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسم الله ولا نمنعكم الفيء ما كانت أيديكم مع أيدينا ولا نبدؤكم بقتال. وذكر الشافعي أن عديا كتب لعمر بن عبد العزيز أن الخوارج عندنا يسبونك فكتب إليه عمر بن عبد العزيز إن سبوني فسبوهم أو اعفوا عنهم وإن أشهروا السلاح فأشهروا عليهم وإن ضربوا فاضربوهم[٢]. وخاصم عمر بن عبد العزيز الخوارج، فرجع من رجع منهم، وأبت طائفة منهم أن يرجعوا، فأرسل عمر رجلا على خيل وأمره أن ينزل حيث يرحلون، ولا يحركهم ولا يهيجهم، فإن قتلوا وأفسدوا في

---

[١] فتح الباري لابن حجر (٨/ ٦٩).

[٢] الأم للشافعي (٤/ ٢٢٩-٢٣٠).

الأرض فاسط عليهم وقاتلهم، وإن هم لم يقتلوا ولم يفسدوا في الأرض فدعهم يسيرون "[١].

والخوارج فرق متعددة[٢]، والذي يجمعها على افتراق مذاهبها إكفار علي وعثمان والحكمين وأصحاب الجمل وكل من رضى بتحكيم الحكمين، والإكفار بارتكاب الذنوب -إلا النجدات فإنها لا تقول ذلك-، ووجوب الخروج على الإمام الجائر[٣]. وقد وقف لهم الصحابة رضي الله عنهم، والتابعين، وجاهدوهم بالسيف واللسان، وأبطلوا مذهبهم بالحجة والبرهان. وقد انقرضت فرق الخوارج

---

[١] مصنف ابن أبي شيبة (٣٧٩٠٨).

[٢] وقد ذكر البغدادي: أن الخوارج عشرون فرقة وهذه أسماؤها المحكمة الأولى الأزارقة والنجدات والصفرية ثم العجاردة المفترقة فرقا منها الخازمية والشعيبية والمعلومية والمجهولية وأصحاب طاعة لا يراد الله تعالى بها والصلتية والاخنسية والشيبية والشيبانية والمعبدية والرشيدية والمكرمية والخمرية والشمراخية والابراهيمية والواقفة والاباضية منهم افترقت فرقا معظمها فريقان حفصية وحادثية فأما اليزيدية من الأباضية والميمونية من العجاردة فانها فرقتا من غلاة الكفرة الخارجين عن فرق الامة. الفرق بين الفرق للبغدادي (ص: ٥٤-٥٥).

[٣] انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي (ص: ٥٥).

المختلفة وذابت في ثنايا التاريخ ولم يبقى منها إلا فرقة الإباضية في الصحراء الغربية في مصر وفي بلاد الزنجبار وفي عمان أيضاً[1]. أما فكر الخوارج ومنهجهم فلا يزال متوارثا جيلا بعد جيل، ولم ينقرض مع أولئك القوم. قال ابن تيمية: وهذه العلامة التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم هي علامة أول من يخرج منهم ليسوا مخصوصين بأولئك القوم، فإنه قد أخبر في غير هذا الحديث أنهم لا يزالون يخرجون إلى زمن الدجال[2]، وقد اتفق المسلمون على أن الخوارج ليسوا مختصين بذلك العسكر، وأيضا فالصفات التي وصفها تعم غير ذلك العسكر[3].

---

[1] انظر: جوانب التفكير في العقيدة الإسلامية في العصر الأموي - أحمد علي عبدالعال(ص:٧٩)، تاريخ المذاهب الإسلامية - محمد أبو زهرة (ص:٧٣).

[2] ولفظه: "يخرج في آخر الزمان قوم كأن هذا منهم، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، سيماهم التحليق، لا يزالون يخرجون حتى يخرج آخرهم مع المسيح الدجال، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم، هم شر الخلق، والخليقة". أخرجه النسائي (٤١٠٣) عن أبي برزة. وضعفه الألباني.

[3] مجموع الفتاوى (٢٨/ ٤٩٥-٤٩٦).

فظاهرة الخروج بما تحمله من مبادئ ومنهج لم تنتهي بنهاية الخوارج الذين ظهروا في تلك الفترة من تاريخ الإسلام، فإلى جانب الإباضية الذين يُعتبرون امتداداً لأولئك الخوارج، ظهرت في هذا العصر جماعات تبنت منهج الخوارج واسلوبهم واعتنقت كثيرا من أفكارهم ومبادئهم، وقد لاحظ معظم من كتبوا عنها الارتباط الوثيق بين أفرادها وبين الخوارج رغم اختلاف الدوافع والغايات بين الفريقين[١]. من ذلك وقوع كثير من متأخري الخوارج في التكفير بالذنوب صراحة أو بتأويل، ومشابهة متأخري الخوارج متقدميهم في جعلهم ذنبا ما ليس بذنب ثم تكفيرهم مرتكبه، ومشابهة الخوارج المتأخرين للمتقدمين في عدم اعتدادهم بشروط تكفير المعين وموانعه التي يذكرها أهل العلم، ومن ظلم الخوارج قديما وحديثا إلزامهم مخالفيهم بلازم أقوالهم ومن ثم تكفيرهم مع أن هذه اللوازم قد تكون من افتراءاتهم وظنهم

---

[١] انظر: دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين الخوارج والشيعة- د. أحمد جلي (ص:٧٩).

الفاسد، وأن الذي دفعهم الى هذه المسالك هو الغلو في الدين سواء في الاعتقاد أم في السلوك، وأنهم يتبعون المتشابه من النصوص ولا يردونها إلى المحكم ليلبسوا على العامة وضعاف العقول، واستمرار الخوارج على طريقة أسلافهم في استحلال دماء المسلمين وأموالهم بل بعض غلاتهم يدعو إلى قتل النساء والأطفال، ومشابهة الخوارج المتأخرين لأسلافهم في هجر الجمعة والجماعات واعتزال المسلمين والانحياز عنهم والخروج على ولاة الأمر والدعوة إلى إثارة الفتن والقلاقل في ديار المسلمين[١].

فكثير من آراء الخوارج وُجد له صدى في العصر الحاضر في فكرنا الاسلامي بصورة ما، وتفاوت هذا الأثر قوة وضعفا، واختلفت وجهة نظر القائلين بآراء الخوارج ما بين تطبيقها

---

[١] انظر: تأثر الخوارج المعاصرين بأصول الخوارج المتقدمين- فهد بن سليمان الفهيد (٩٤-٩٥).

عمليـا والاقتنـاع بهـا نظـريا فقـط، والاجتهـاد في تقريرهـا، والإعجاب بها، وحث الناس على اعتناقها[1].

الرافضة:

الشيعة هم الذين شايعوا عليا رضي الله عنه على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصا ووصية، إما جليا، وإما خفيا، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده، وقالوا: ليست الإمامة قضـية مصـلحية تنـاط باختيـار العامـة وينتصـب الإمـام بنصبهم، بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين، لا يجوز للرسل عليهم السلام إغفاله وإهماله، ولا تفويضه إلى العامة وإرسـاله، ويجمعهـم القـول بوجـوب التعيـين والتنصـيص، وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوبا عن الكبائر والصغائر،

(1) أثر آراء الخوارج في الفكر الاسلامي المعاصر-عبد التواب محمد عثمان (ص: ٣٧٢).

والقول بالتولي والتبري قولا، وفعلا، وعقدا، إلا في حال التقية، ويخالفهم بعض الزيدية في ذلك[1].

فالتشيع في عرف المتقدمين هو اعتقاد تفضيل علي على عثمان، وأن عليا كان مصيبا في حروبه وأن مخالفه مخطئ مع تقديم الشيخين وتفضيلهما، وربما اعتقد بعضهم أن عليا أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأما التشيع في عرف المتأخرين فهو الرفض[2]. ولفظ الرافضة إنما ظهر لما رفضوا زيد بن علي بن الحسين في خلافة هشام، وقصة زيد بن علي بن الحسين كانت بعد العشرين ومائة، ومن زمن خروج زيد افترقت الشيعة إلى رافضة، وزيدية، فإنه لما سئل عن أبي بكر، وعمر، فترحم عليهما رفضه قوم،

---

[1] الملل والنحل (١/ ١٤٦-١٤٧).

[2] انظر: تهذيب التهذيب (١/ ٩٤).

فقال لهم: رفضتموني، فسموا رافضة لرفضهم إياه، وسمي من لم يرفضه من الشيعة زيديا؛ لانتسابهم إليه[١].

فالتشيع كان على درجات متفاوتة عند بعض الناس زمن خلافة علي رضي الله عنه، ولكن الأحداث التي تعاقبت بعد ذلك هيئت المناخ المناسب لظهور العقائد المنحرفة مثل: معركة صفين وحادثة التحكيم التي أعقبتها، ومقتل علي رضي الله عنه، ثم مقتل الحسين، حيث دفعت هذه الأحداث النفوس للتشيع لآل البيت، وهنا تسلسل الفكر الوافد من هنا وهنا عن علي رضي الله عنه وآل بيته تحت ستار التشيع[٢]. يقول: د. أحمد جلي: ويمكن القول بأن التشيع لم يكن مذهبا واحدا بل إنه أخذ أطوار مختلفة ومر بمراحل عديدة، فقد كان بكل عصر نوع من التشيع، ولكل طائفة شيعية لون من التشيع، فقد وُجد المعاصرون لعلي

---

[١] انظر: منهاج السنة النبوية (١/ ٣٤-٣٥).

[٢] انظر: أثر الديانات الوثنية في عقائد الرافضة- بسمة أحمد جستنية (١٨٤-١٨٥).

الذين أبرزوا فضائله وكفاءته، كما ظهر في عهده من فضل عليا على عثمان فقط، وظهر بعد ذلك الرافضة الذين رفضوا ولايتي أبي بكر وعمر، ثم ظهر الغلاة الذين كفروا الصحابة[1].

وقد كان للرافضة قنوات عبرت من خلالها المعتقدات المنحرفة التي تسللت إلى مذاهبهم، كان من أهمها الفتح الاسلامي لفارس وما ورائها، والاحتكاك بأهل تلك البلاد التي فتحها المسلمون سواء من الناحية الاجتماعية من تزاوج ومصاهرة، أو ثقافية من ناحية الاطلاع على علوم تلك البلاد والاستفادة منها لا سيما عن طريق الترجمة، الأمر الذي أدى الى تأثر الرافضة بأصحاب تلك الديانات الوثنية، ومن أمثلة ذلك أن الرافضة أسندوا الحوادث الكونية الى الأئمة فجعلوا الدنيا والآخرة تحت تصرف الإمام،

---

[1] دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين الخوارج والشيعة- د. أحمد جلي (ص:١٠١).

والإحياء والإماتة وإنزال المطر، وارسال الرياح فشابهوا في ذلك الصابئة والنصارى. وقال الرافضة بالحلول والاتحاد، فـ"علي" عندهم خلق من نور الله وصار في ذات الله متحدا فيه، وهي دعوى لأفكار لا تخلو منها ديانة من الديانات الوثنية، قال بها الصابئة والهنود والبوذيون والفرس والنصارى. ومن مظاهر الشرك الطيرة والتطير والاعتقاد بتأثير النجوم، آمن بكل هذا الرافضة وثبت بالأدلة مشابهتهم للصابئة وديانات بابل التي دانت بهذه المعتقدات. وخالف الرافضة عقيدة أهل السنة في مفهوم القضاء والقدر، فزعموا أن الله تعالى يفعل الخير ولا يفعل الشر، حيث كانوا سلف المعتزلة القدرية الذين شابهوا المجوس، وكذا النصارى. واعتقد الرافضة أن الأئمة هم الواسطة بين الله تعالى والخلق، وهي دعوى شركية ظاهرة في الأديان الوثنية ومنها الصابئة والفرس. والرافضة يعظمون مشاهدهم وقبورهم ويطوفون حولها وقد وجد ببلاد الرافدين تعظيم القبور ورفات الأموات

واليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد. والغلو في الأئمة إلى حد تأليههم ونسبة أفعال الله لهم، وادعاء علمهم الغيب وأنهم يوحى إليهم، وقد قال بذلك الهنود حيث وصفوا "براهما" إلههم بكل صفات الألوهية، وكذا الفرس، وهو قول وجد عند اليهود والنصارى حيث عظم اليهود الحاخامات وعظم النصارى القديسين إلى درجة التأليه. وتابع الرافضة المعتزلة في دعواهم الذين تأثروا بحركة ترجمة كتب اليونان والفرس إلى العربية، والتي اشتملت على الفلسفة والأمور الدينية لا سيما كتب الفلاسفة وهو مذهب تبنته الصابئة الوثنية أيضا. وشابه الرافضة أيضا النصارى حين شبهوا صفات الله بالأئمة، فشبهوا الخالق بالمخلوق وهو عين قول النصارى إن الله هو المسيح. وثبتت مشابهة الرافضة للوثنيين الفرس الذين نظروا إلى ملوكهم أن الله اصطفاهم للحكم وهي نفس نظرة الرافضة الى علي بن أبي طالب وأبنائه من بعده. وكذا شابهوا اليهود في إطلاق

لقب الوصي فيمن يخلف النبي صلى الله عليه وسلم، حين تزعمه ابن سبا اليهودي، والله تعالى عند كل من اليهود والرافضة هو الذي يتولى تعيين الوصي، وكما أن اليهود ادعوا أن الملك لا يكون إلا في آل داود، ادعى الرافضة أن الإمامة لا تكون إلا في علي وولده من بعده. وفي عقيدة المهدي آمن أهل السنة بعقيدة المهدي على أنه غيب بشرت به الأحاديث النبوية في وقت وزمان معينين، ولكن الرافضة جعلوا من عقيدة المهدي وغيبته ركن من أركان مذهبهم، إمام خفي وغائب، حي يعود إلى الظهور في المستقبل مهديا بأسطورة مزعومة أثبت اسطوريتها العديد من علمائهم، وليس إماما واحدا بل ادعوا ذلك في بعض أفراد أهل البيت، وزعموا غيبتهم وعودتهم مرة أخرى، وهذه العقيدة ثبتت بالأدلة مشابهة الرافضة في مهديهم المزعوم لبعض الديانات والنحل قال بذلك الهنود في كرشنا، وزراديه والزرادشتية في زرادشت، والمجوس آمنوا بالمهدي من ولد

بشتاسف، واليهود في مسيحهم المنتظر وما يقوم به من خوارق. وآمن الرافضة برجعة كثير من الأموات الى الحياة قبل يوم القيامة، وعودتهم إلى الحياة بعد الموت في صورهم التي كانوا عليها، وهي من ضروريات المذهب، مع عقيدة أخرى آمنوا بها وهي ظهور للائمة غير مرتبط بوقت معين كالرجعة، بل هو خاضع لإرادة الائمة يظهر هؤلاء الائمة ويتلقى أتباعهم أو من يخصونهم وصاياهم وأقوالهم، معتمدين في ذلك على روايات مفتراة مكذوبة أكد افترائها مصححوا مذهبهم، وقد سبقهم إلى هذا المعتقد عباد بعل الوثنيين، والفرس الذين اعتقدوا برجوع مثرا، والمجوس، واليهود الذين آمنوا بهذه الفكرة بدأها ابن سبأ بين المسلمين ووجدت في كتبهم، بل إن الحاخامات لهم القدرة عند اليهود على ارجاع الحياة لمن شاءوا من الأموات وأخيرا وجد هذا المعتقد لدى النصارى[1].

---

[1] انظر: أثر الديانات الوثنية في عقائد الرافضة- بسمة أحمد جستنية (٦٥٩-٦٦٣)،

الفرق الكلامية:

مقصود علم الكلام عند المشتغلين به هو: حفظ عقيدة أهل السنة، وحراستها عن تشويش أهل البدعة[1]، ولهذا عرفه ابن خلدون بقوله: هو علم يتضمّن الحجاج عن العقائد الإيمانيّة بالأدلّة العقليّة والرّدّ على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السّلف وأهل السّنّة[2].وعرفه بعضهم بأنه: علم يبحث فيه عن ذات الله وصفاته وأحوال الممكنات من المبدأ والمعاد على قانون الإسلام[3].

أما مفهوم علم الكلام عند أهل السنة فهو قائم على المنهج الذي سار عليه المتكلمون فيما ذهبوا إليه من تقرير للعقيدة أو دفاع عنها، وهذا المفهوم هو ما عبر عنه ابن تيميه بقوله

(٣٤٧-٦٥٥).

[1] المنقذ من الضلال- أبو حامد الغزالي (ص: ١١٨).

[2] تاريخ ابن خلدون (١/ ٥٨٠).

[3] التوقيف على مهمات التعاريف- المنَاوِي (ص: ٢٨٣).

في تعريف الكلام: إنما هو حقيقةٌ عرفيةٌ فيمن يتكلم في الدين بغير طريقة المرسلين[1]. ومن المعلوم قطعا أن طريقة المرسلين هي تقرير الدين بالوحي من رب العالمين، أما علم الكلام فهو يقرر الدين والعقائد ويحتج عليها بالطرق العقلية، وينظر إلى نصوص الوحي على أنها طرق ظنية، ولذلك فما خالف عقولهم ردوه حتى وإن كان نصا شرعيا، فإنهم يعتدون عليه بالتأويل أو دعوى المجاز وعدم اليقين[2].

فالمتكلمون تأثروا بالفلسفة أيما تأثر، وفتنوا بالمنطق وظنوا أنه هو العلم، حتى إن الغزالي قال عن المقدمة المنطقية: وليست هذه المقدمة من جملة علم الأصول ولا من مقدماته الخاصة به، بل هي مقدمة العلوم كلها، ومن لا يحيط بها فلا ثقة له بعلومه أصلا[3]، فأدخلوا المنطق في علم الكلام، ثم اتسع

---

(1) مجموع الفتاوى (١٢/ ٤٦١).

(2) انظر: أثر الفلاسفة على المتكلمين في الإلهيات- سعيد بن محمد الغامدي (ص: ٨٠)، أبجد العلوم-القِنَّوجي (ص: ٣٠٠).

(3) المستصفى (ص: ١٠).

الخرق فأدخلوا مسائل في الالهيات كذلك، كقدم العالم، والبحث في الجوهر والعرض وأحكامها، وغيرها، حتى امتزج هذان الفنان امتزاجا كبيرا[1]، كما يشير إلى ذلك ابن تيمية بقوله: وهؤلاء المتكلمون المتأخرون الذين خلطوا الفلسفة بالكلام كثر اضطرابهم وشكوكهم وحيرتهم بحسب ما ازدادوا به من ظلمة هؤلاء المتفلسفة الذين خلطوا الفلسفة بالكلام[2].

والفلسفة كلمة أعجمية ومعناها: الحكمة[3]، وتطلق على العلم بحقائق الأشياء، والعمل بما هو أصلح، وعرفها "أرسطو" بقوله: انها العمل بالأسباب القصوى، أو علم الموجود بما هو موجود[4]. ويمكن تعريف الفلسفة اصطلاحا

---

[1] انظر: أثر علم الكلام على المنتسبين إليه وموقف أهل السنة والجماعة وكبار المتكلمين منه- وليد بن صالح با صمد (٣٤-٣٥).

[2] منهاج السنة النبوية (٣/ ٢٨٨).

[3] انظر: لسان العرب (٩/ ٢٧٣).

[4] انظر: المعجم الفلسفي - جميل صليبا (٢/ ١٦٠).

بأنها: "الاعتماد على العقل الانساني في تفسير كل ما يتعلق بالوجود والمصير"[١]. ويعتبر الفكر اليوناني هو الفكر الذي ينصرف إليه اسم الفلسفة بمعناه الدقيق، وإن كان هناك من الأمم قبل اليونان من سبقهم حكمة وفكرا وحضارة، إلا أن الفكر اليوناني هو المعني بمصطلح الفلسفة بالدرجة الأولى، يقول ابن تيمية عن كون اليونان هم أصل الفلسفة بمعناها الدقيق: والمقصود أن الفلاسفة هم حكماء اليونان وكل أمة من أهل الكتب المنزلة وغيرهم فلهم حكماء بحسب دينهم كما للهند المشركين حكماء وكان للفرس المجوس حكماء ... فلما كان هذا أصل لفظ الفلسفة صار هذا مطلقا على كل من سلك سبيل أولئك اليونان واتبعهم في حكمتهم[٢].

ومما ينبغي أن يُعلم أن الاغريق أو اليونان لم يأتوا فجأة وهم يحملون هذا المنهج العقلي والفلسفي الذي تميزوا به عن

---

(١) أثر الفلاسفة على المتكلمين في الإلهيات- سعيد بن محمد الغامدي (ص: ٢٥).

(٢) انظر: الصفدية (٢/ ٣٢٥).

غيرهم من حكماء الشعوب والديانات الأخرى، فإن المؤرخين للفلسفة اليونانية يذكرون بأن الاغريق وقعوا في غمرات الأوهام والضلالات والخرافات البعيدة عن المعقول، وذلك فيما كانوا يعتقدون في آلهتهم وفي فهمهم للكون والوقوف على أسراره، بل إنهم كانوا أكثر من غيرهم إيغالا في الأوهام وأشد بعدا عن المعقول، ولعل هذا التطرف في الاعتماد على الخرافات هو الذي ولَّد لدى الاغريق الاحساس بضرورة الاعتماد على العقل في تفسير كل الظواهر بعيدا عن الوحي أو الحس، ولذلك فان الفكر اليوناني -كما يقول المؤرخون له- قد تحرر من ربقة الدين واعتبر أن العقل البشري هو الأداة الوحيدة والكافية في بحث علل العالم الطبيعي وما وراءه من الغيبيات[١].

[١] أثر الفلاسفة على المتكلمين في الإلهيات - سعيد بن محمد الغامدي (٢٩-٣٠).

أما أهل الإسلام فما زالوا يزنون بالموازين العقلية، ولم يسمع سلفا بذكر هذا المنطق اليوناني، وإنما ظهر في الإسلام لما عربت الكتب الرومية في عهد دولة المأمون أو قريبا منها[١].

على أنه قد حدث في آخر عصر الصحابة رضي الله عنهم بدعة القدرية حيث كان أول من قال بالقدر في البصرة "معبد الجهني"، ومفاد بدعته إنكار علم الله السابق وخلق العباد لأفعالهم، وهي ما تسمى بالقدرية الأولى وقد أخذ هذه البدعة عن معبد "غيلان الدمشقي"، وقد أنكر هذه البدعة من بقي من الصحابة إلى ذلك الحين كابن عمر وابن عباس وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم، ومن المعلوم أن هذه القدرية قد انقرضت ونشأت على أنقاضها قدرية أخرى أقرت بعلم الله السابق ولكن قالت في خلق العباد لأفعالهم، وقد نشأت في ذلك الوقت كذلك بدعة الارجاء التي جعلت الإيمان هو التصديق، فلا أهمية لفعل العبد،

[١] انظر: مجموع الفتاوى (٩/ ٢٤١).

وهـذه مناقضـة لبدعـة القدريـة وكـان "ذر المـرهبي" أول مـن عُرفـت عنـه هـذه البدعـة، ولكـن مـن العجيـب أن "غـيلان الدمشقي" جمع بين البدعتين. وبعد ذلك بزمن ليس ببعيد خرج رجلان أولهما: "الجعد بن درهم" فأظهر بدعا لم يسبق إليهـا فقـال بخلق القران، وأنكـر أن يكـون الله تكلـم بالقـرآن على الحقيقـة، كما أنكـر أن يكـون الله كلم موسى تكليما، أو أنه اتخذ ابراهيم خليلا، ونفى المعنى الحقيقي للصفات، ونفى أفعال الله واستوائه على العرش، وقال بدليل الأعراض وحـدوث الاجسـام، ثم خلفـه بعـد في هـذه البـدع تلميـذه "الجهـم بـن صـفوان" وتلقفهـا منـه، ولكنـه زاد عـلى شـيخه بـدعا أخـرى كبدعـة أن الله لـيس جسـما، وأنـه لا يختص بمكـان دون مكـان، ثم جـاء "واصـل بـن عطـاء" وأحـدث بدعـة المنزلـة بـين المنـزلتين، ولم يبعـد الـزمن كثـيرا حـتى طلـع

"مقاتل بن سليمان" ببدعة تقابل بدعة جهم وهي التشبيه[1].

وبالنظر في هذه الفترة من تاريخ هذه البدع نجد أن بدعة "واصل بن عطاء" قد انفردت عن باقي البدع بأمر وهو ما ذكره الشهرستاني بقوله: دخل واحد على الحسن البصري فقال: يا إمام الدين، لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة؛ وهم وعيدية الخوارج. وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان، بل العمل على مذهبهم ليس ركنا من الإيمان، ولا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وهم مرجئة الأمة. فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقادا؟ فتفكر الحسن في ذلك، وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء: أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن

[1] انظر: أثر علم الكلام على المنتسبين إليه وموقف أهل السنة والجماعة وكبار المتكلمين منه- وليد بن صالح با صمد (٤٤-٤٧).

مطلقا، ولا كافر مطلقا، بل هو في منزلة بين المنزلتين: لا مؤمن ولا كافر. ثم قام واعتزل إلى أسطوانة من أسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن، فقال الحسن: اعتزل عنا واصل، فسمي هو وأصحابه معتزلة[1]. فالذي تميزت به بدعة واصل أنه انفرد إلى أسطوانة ومعه جماعة يقرر معهم تلك البدعة كأنهم في حلقة علمية فقرر إضافة إلى ذلك نفي الصفات، وكذلك القدر، والحكم على أصحاب الجمل بأن أحدهما مخطئ لا بعينه، فجلوس شيخ مع تلاميذه لتقرير البدع هو الذي ينشئ الفرق، بخلاف ما إذا كان الرجل قد قال قولا وليس لديه تلاميذ يحملون عنه، وهكذا تتكون الفرق عندما يكون لصاحبها اتباع وتلاميذ يحملون الفكرة ويبثونها ويتحمسون لها ويدافعون عنها، فكان واصل نواة تشكل المعتزلة أُولى الفرق الكلامية الكبرى، والملحوظ في هذه الفترة أن الأمة

---

[1] الملل والنحل (١/ ٤٧-٤٨).

قد وجدت فيها البدع الكلامية التالية وهي: ١- التكفير، ٢- المنزلة بين المنزلتين، ٣- الارجاء، ٤- نفي الصفات والافعال، ٥- نفي كلام الله ، ٦- نفي الجسمية، ٧- دليل الأعراض وحدوث الأجسام، ٨- التشبيه، ٩- القول في القدر. ولو دققنا النظر في الفرق الكلامية الكبرى التي تشكلت بعد ذلك، لوجدناها ما بين مستقل من هذه البدع ومستكثر، وأصبحت هذه هي أصول البدع العقلية في هذه الأمة، وبالنظر في تاريخ الفرق يتبين أن من يمثل المتكلمين بعد استقرار وتشكُّل الفرق، هم المعتزلة والأشاعرة والماتريدية، وأصبح من عداهم في طي النسيان أو آخذا منهم[1].

لقد كانت الفلسفة اليونانية هي المصدر الرئيس لعلم الكلام وأصوله، وبخاصة المعتزلة والماتريدية ومتأخري الأشاعرة،

---

[1] انظر: أثر علم الكلام على المنتسبين إليه وموقف أهل السنة والجماعة وكبار المتكلمين منه- وليد بن صالح با صمد (٤٧-٥١).

وذلك أن المتكلمين اعتمدوا طريقة الفلاسفة في الاستدلال على وجود الله تعالى وهي طريقة الاستدلال والبرهان العقلي الصرف البعيد عن نور الوحي من القران الكريم والسنة النبوية المطهرة، وهم وإن كانوا يحاولون ربط أدلتهم بذكر ما يدل عليها في نظرهم من القران الكريم، إلا أنهم جعلوا معتمدهم على طريقة الفلاسفة في تقرير أدلتهم من خلال المقدمات العقلية العويصة على أفهام الناس وعقولهم، ولذلك فهم ينكرون المعرفة الفطرية لله تعالى كما قال بذلك الفلاسفة، خلافا لما عليه منهج السلف الصالح من أن معرفة وجود الله تعالى حقيقة وضرورة فطرية، وهذه الحقيقة الفطرية النفسية- من أن كل إنسان مخلوق خلقة تقتضي معرفة الله تعالى وتوحيده- موافقة ومطابقة لما دلت عليه النصوص الشرعية من أن الفطرة هي الايمان بالله تعالى وتوحيده. ومن أمثلة تأثر المتكلمين بالفلاسفة تأثرهم بالفلسفة الإشراقية القائمة على الذوق والكشف، وتقديمهم

لها على مصادر الاسلام من القران والسنة وأقوال السلف الصالح، ويظهر ذلك جليا عند الغزالي ومن تأثر به من المتكلمين، وهو الذي فتح الباب في ذلك لفلاسفة التصوف. ومن أمثلة تأثر المتكلمين بالفلاسفة أيضا اعتمادهم أدلة الفلاسفة على وجود الله تعالى، والتأثر بمصطلحاتهم في تقرير العقائد بما في ذلك وجود الله تعالى كالجوهر والعرض والصورة والتركيب والحيز، ونفيهم لأسماء الله تعالى وصفاته كما عند الجهمية، أو نفي الصفات بالكلية كما عند المعتزلة ومن وافقهم أو جزئيا كما عند الأشاعرة والماتريدية ومن وافقهم، وذلك بناء على الشبه والأصول الفلسفية، ونفيهم لكلام الله تعالى تأثرا بنظرية الفيض عند الفلاسفة، وتفسيرهم الخلق بالمخلوق تأثرا بنظرية الفيض عند الفلاسفة، ونفي بعض المعتزلة لعلم الله تعالى لذات الشبهات التي نفى بها الفلاسفة علم الله تعالى،

فتأثر المتكلمين بالفلاسفة هو السمة الغالبة على كل الفرق الكلامية[1].

الصوفية:

الزهد المشروع هو ترك ما لا ينفع في الدار الآخرة، وترك الفضول التي تشغل عن طاعة الله ورسوله، وفي أثناء المائة الثانية صاروا يعبرون عن ذلك بلفظ " الصوفي "؛ لأن لبس الصوف يكثر في الزهاد[2]. وقد كانت النسبة في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان والإسلام فيقال مسلم ومؤمن، ثم حدث اسم زاهد وعابد، ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعبد، فتخلوا عن الدنيا وانقطعوا إلى العبادة واتخذوا في ذلك طريقة تفردوا بها وأخلاقا تخلقوا بها عُرفت بالتصوف، وحاصلها أن التصوف عندهم رياضة النفس

[1] انظر: أثر الفلاسفة على المتكلمين في الإلهيات- سعيد بن محمد الغامدي (٤٠٦-٤٠٨).

[2] انظر: مجموع الفتاوى (١١/ ٢٨-٢٩).

ومجاهدة الطبع بردِّه عن الأخلاق الرذيلة وحمله على الأخلاق الجميلة من الزهد والحلم والصبر والإخلاص والصدق إلى غير ذلك من الخصال الحسنة التي تكسب المدائح في الدنيا والثواب في الأخرى، وعلى هذا كان أوائل القوم، فلبس إبليس عليهم في أشياء ثم لبس على من بعدهم ممن تابعهم، فكلما مضى قرن زاد طمعه في القرن الثاني فزاد تلبيسه عليهم إلى أن تمكن من المتأخرين غاية التمكن، ثم ما زال الأمر ينمي والأشياخ يضعون لهم أوضاعا ويتكلمون بواقعاتهم ويتفق بعدهم عن العلماء لا بل رؤيتهم ما هم فيه أو في العلوم حتى سموه العلم الباطن وجعلوا علم الشريعة العلم الظاهر، ومنهم من خرج به الجوع إلى الخيالات الفاسدة فادعى عشق الحق والهيمان فيه، فكأنهم تخايلوا شخصا مستحسن الصورة فهاموا به وهؤلاء بين الكفر والبدعة، ثم تشعبت بأقوام منهم الطرق ففسدت عقائدهم فمن هؤلاء من قال بالحلول ومنهم من قال

بالاتحاد[1]. ولقد كان للديانة النصرانية المحرفة أثرا كبيرا في التصوف، حيث نتج عن اتصال الصوفية بالرهبان ومخالطتهم لهم أن ساروا على نهجهم في اختيارهم الفقر وعزوفهم عن الزواج، وتلقيهم العقائد المنحرفة عنهم كالاتحاد والحلول، وقولهم بحصول العلم عن طريق الكشف والإلهام كما قالت النصارى، وادعوا لمشايخهم العصمة كما ادعى رجال الدين النصراني ذلك. كما أن الفلسفات الهندية القديمة كانت مصدرا مهما للصوفية في الرياضات النفسية والفناء ووحدة الوجود والاتحاد ووحدة الأديان، وأيضا في إخفاء هذه العقائد عن العوام وجعلها سرية بين الفلاسفة بوجه خاص، كما أن الفلسفات اليونانية أيضا لها أثر مهم في التصوف حيث كان للفلسفة الأفلاطونية أثرها في نظرية المعرفة عند الصوفية وهو ما يسمى بالعلم اللدني، وأيضا في نظرية المثُل التي أخذها ابن عربي وسماها: الأعيان الثابتة في

[1] انظر: تلبيس إبليس (ص: ١٤٥-١٤٨).

العدم، أما نظرة أفلاطون للوجود واعتباره إياه وحدة إلهية واحده، فهي وحدة الوجود التي قال بها كبار مشايخ الصوفية، أما الفلسفة الأفلاطونية الحديثة فقد كان لها أيضا تأثيرها الذي لا ينكر، فمن ذلك نظرية الفيض التي انتقلت إلى التصوف بتمامها، وانتقل منها للتصوف أيضا القول بالاتحاد[1].

الفرق الباطنية:

الباطنية لقب عام مشترك تندرج تحته مذاهب وطوائف عديدة، الصفة المشتركة بينها هي تأويل النص الظاهر بالمعنى الباطن تأويلا يذهب مذاهب شتى، وقد يصل التباين بينها حد التناقض الخالص[2]. قال الغزالي: أما الباطنية فإنما لقبوا بهَا لدعواهم أَن لظواهر الْقُرْآن وَالْأَخْبَار

---

(1) انظر: التصوف وتأثره بالنصرانية والفلسفات القديمة- إبراهيم بن خلف التركي (٤٢١-٤٢٢).

(2) مذاهب الإسلاميين – عبد الرحمن بدوي (٢/٤).

بواطن تجرى فِي الظَّوَاهِر مجْرى اللب من القشر وَأَنَّهَا بصورها توهم عِنْد الْجُهَّال الأغبياء صورا جلية وَهِي عِنْد الْعُقَلَاء والأذكياء رموز وإشارات إِلَى حقائق مُعينَة وَأَن من تقاعد عقله عَن الغوص على الخفايا والأسرار والبواطن والأغوار وقنع بظواهرها مسارعا إِلَى الاغترار كَانَ تَحت الأواصر والأغلال معنى بالأوزار والأثقال وَأَرَادُوا بالأغلال التكليفات الشَّرْعِيَّة فَإِن من ارْتقى إِلَى علم الْبَاطِن انحط عَنهُ التَّكْلِيف واستراح من أعبائه وهم المرادون بقوله تَعَالَى: ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ [الأعراف: ١٥٧] وَرُبمَا موهوا بالاستشهاد عَلَيْهِ بقَوْلهمْ إِن الْجُهَّال المنكرين للباطن هم الَّذين أُريدوا بقوله تَعَالَى: ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴾ [الحديد: ١٣] وغرضهم الْأَقْصَى إِبْطَال الشَّرَائِع فَإِنَّهُم إِذا انتزعوا عَن العقائد مُوجب الظَّوَاهِر قدرُوا على الحكم بِدَعْوَى الْبَاطِن على حسب مَا يُوجب الانسلاخ عَن قَوَاعِد الدّين إِذا سَقَطت الثِّقَة بِمُوجب

الألفاظ الصَّرِيحَة فَلَا يبْقى للشَّرْع عِصَام يرجع إِلَيْهِ ويعول عَلَيْهِ[1].

والذين وضعوا أساس دين الباطنية كانوا من أولاد المجوس وكانوا مائلين الى دين أسلافهم ولم يجسروا على إظهاره خوفا من سيوف المسلمين، فوضع الأغمار منهم أسسا من قبلها منهم صار في الباطن إلى تفضيل أديان المجوس، وتأولوا آيات القرآن وسنن النبي عليه السلام على موافقة أسسهم[2]. فعقائد الباطنية على العموم قد استمدت من عقائد قديمة، ولكن بدأ التخطيط لإقامة هذا المذهب في الإسلام كما يترجح من أقوال العلماء ما بين سنة ٢٠٠و٣٠٠هـ أي بعد انتشار الإسلام وعز أهله به، وانطفاء نار المجوسية، وكسر صليب النصارى، وكسر طاغوت الوثنية، ودحر اليهودية، وضرب الذلة والمسكنة

(١) فضائح الباطنية- أبو حامد الغزالي (١١-١٢).

(٢) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي (ص: ٢٦٩).

عليهم، فأكل الحسد قلوبهم، وبدأوا يخططون في الخفاء لطريق ينفّسون بها عن أحقادهم للنيل من الإسلام وأهله، فاهتدوا إلى هذه الطرق[1]. ولم تكن الباطنية فرقة مستقلة بذاتها، بل طائفة يندرج تحتها عدد من الفرق يجمعها مبدأ القول بالظاهر والباطن، وهذه الفرق وإن اتحدت تحت هذا المبدأ إلا أنها تختلف فيما بينها في مسائل كثيرة وهامة من أصول الاعتقاد، ومن أشهر هذه الفرق:

• فرقة الإسماعيلية:

وهي رافضية باطنية شيعية إمامية تلتقي مع الإثنى عشرية في القول بإمامة جعفر الصادق ومن قبله من الأئمة، وتختلف معها في تحديد الإمام بعده، ومن مسمياتها التعليمية، الخُرَّمية، السبعية، القرامطة، الباطنية، الإسماعيلية،

[1] فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها- د. غالب عواجي (٢/ ٤٨١).

وقد انقسمت الإسماعيلية إلى فرقتين: إسماعيلية نزارية أغاخانيه، وإسماعيلية مستعلية بهرة طيبية.

• فرقة النصيرية:

وهي من الفرق التي انشقت عن الشيعة الإثنى عشرية على يدي مؤسسها محمد بن نصير النميري، والذي ظهر في القرن الثالث الهجري، والذي جمعها من ديانات سماوية محرفة، أو وضعية أرضية، أو فرق ضالة منحرفة، لتظهر بشكل خليط متجانس من وثنية تقدس الكواكب، ونصرانية تقول بالتثليث، ومجوسية مزدكية تبيح المحرمات وتسقط الواجبات وتبيح المحارم، ورافضية تسب الصحابة وتكفرهم، وتزعم أنهم ارتدوا بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم. وهم يحلفون أتباعهم على كتمان معتقداتهم ولا يطلعون عليها إلا من كان من أهل دينهم وملتهم. ومن مسمياتهم النصيرية، النميرية، سوراك، العلويون.

• فرقة الدروز:

وهي فرقة من فرق الباطنية الشيعة، انشقت عن الطائفة الإسماعيلية في الظاهر في عصرها العبيدي، وتنسب الى أحد دعاتهم الضُلَّال المجوس نشتكين الدرزي، وهي ذات أفكار وآراء اعتقادية غالية يعتقدون فيها ألوهية الحاكم بأمر الله الذي تولى الخلافة الفاطمية في مصر، ومن أسمائهم الدروز، وهو الاسم المشهور عنهم والمتداول على ألسنة الناس، ومن أسمائهم أيضاً "الموحدون" وهذا هو الاسم الذي يحبونه ويطلقونه على أنفسهم في كتبهم التي يقدسونها، ويعنون به الاخلاص في توحيد الحاكم بأمره[1].

---

[1] انظر: أوجه الشبه بين عقائد الشيعة الاثنى عشرية وفرقة الباطنية – فهد بن كريم الأنصاري (٧٠-٩٣).

جذور الفكر الباطني

ذكر من كتب عن جذور الفكر الباطني أنهم تأثروا بالفلسفة الهندية في مسألة وحدة الوجود، والحلول والاتحاد، وتناسخ الأرواح، ونظام الطبقات الديني[1]، وبعض الشرائع والطقوس الدينية، وظهر أيضا تأثرهم بالفلسفة اليونانية من خلال نظرية العدد[2]، ونظرية المثُل والممثُول[3]، ونظرية

(١) فمثلاً للدروز تنظيمات طبقية حيث ينقسمون إلى طبقتين: الأولى طبقة الروحانيين، وهم رجال الدين الملمين بأصول المذهب، وهم الرؤساء والعقال والاجاويد، وأما الطبقة الثانية: فهي طبقة الجثمانيين، وتنقسم إلى أُمراء وعامة أو جهال، وهذه الطبقة الثانية جميعها لا يحق لها حضور "المجالس" أي: طقوس العبادة، إلا بعد امتحانات طويلة تحتاج الى صبر ومجالده وإيمان، فإذا ما اطمئن إلى إيمان الشخص أُخذت عليه مواثيق معينة، وبذلك يتدرج في مراقي الدرجات الدينية. انظر: إسلام بلا مذاهب – مصطفى الشكعة (ص:٣٠٧).

(٢) من ذلك أن لقب السبعية إنما لقبوا بها لأمرين أحدهما: اعتقادهم أن أدوار الإمامة سبعة، وأن الانتهاء إلى السابع هو آخر الدور وهو المراد بالقيامة، وأن تعاقب هذه الأدوار لا آخر لها قط. والثاني: قولهم إن تدابير العالم السفلي أعني ما يحويه مقعر فلك القمر، منوطة بالكواكب السبعة التي أعلاها زحل ثم المشتري ثم المريخ ثم الشمس ثم الزهرة ثم عطارد ثم القمر، وهذا المذهب مسترق من ملحدة المنجمين، وملتفت إلى مذهب الثنوية في أن النور يدبر أجزاؤه الممتزجة بالظلمة بهذه الكواكب السبعة فهذا سبب هذا التقليب. فضائح الباطنية – أبو حامد الغزالي (ص: ١٦).

الفيض والصدور[1]، والاعتماد على الأساطير، وهكذا ظهر أثر الغنوصية على الفكر الباطني من خلال قولهم بعقيده العرفان[2] والخلاص[3]، وباليهودية والنصرانية من خلال

[3] وهي نظرية تقوم على إنكار الحقائق الملموسة، وتعبر النظرية عن حقائق مثالية، وتقول: إن عقل الإنسان الظاهر الواعي عقل محدود، وأن الإنسان يملك عقلاً غير واعٍ أرحب من ذلك العقل. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/ ٨٦٥).

[1] الفيض مرادف للصدور، والمقصود بالفيض أن جميع الموجودات التي يتألف منها العالم تفيض عن مبدأ واحد أو جوهر واحد، من دون أن يكون في فعل هذا المبدأ أو الجوهر تراخ أو انقطاع، ولذلك كان القول بفيض العالم عن الله مقابلا للقول بخلقه من العدم. أما الصدور فيطلق في الفلسفة الأفلاطونية الحديثة على فيض الموجودات عن الواحد، فالصدور إذًا هو الفيض وهو ضد الرجوع أي رجوع الموجودات الى المبدأ الذي صدرت عنه. انظر: المعجم الفلسفي - جميل صليبا (١/٧٢٤) (٢/١٧٢-١٧٣).

[2] العرفان: هو العلم بأسرار الحقائق الدينية، والعرفاني: هو الذي لا يقنع بظاهر الحقيقة الدينية بل يغوص على باطنها بمعرفة أسرارها كالعرفانيين من اليهود والأفلاطونيين والمسيحيين. ويطلق اسم العرفانية أو الغنوصية على المذهب الذي انتشر في القرنين الثاني والثالث للميلاد وامتد بطريقة الأفلاطونية الحديثة إلى فلاسفة الإسلام، وخلاصته أن العقل البشري قادر على معرفه الحقائق الإلهية وأن الحقيقة واحدة وإن اختلف تعليمها. انظر: المعجم الفلسفي - جميل صليبا (٢/٧٢).

[3] الخلاص: هو النجاة من العالم المادي الظلماني الذي هو بطبعه شرير، ويمتزج بهذه الفكرة فكرة اللياذ بعالم آخر يتحرر فيه الانسان من اغلال الظلمة والمادة، لكن هذا الخلاص لن يتحقق إلا لعدد قليل من المختارين ومن الأرواح المصطفاة، وهؤلاء هم وحدهم القادرون على بلوغ العرفان "الغنوص". موسوعة الفلسفة- عبد الرحمن بدوي(٢/٨٨).

مـذهبهم في التعطيـل والتحريـف في صـفات الله تعـالى، والمخلص[1]، والتقية[2].

[1] إن أيَّ باحث في أنثربولوجيا العقائد وخاصة في تاريخية المنقذ المهدوي، ليس في غنى عن اطلالة على ماضي هذه الفكرة عند الشعوب السابقة وما نسجته لشخصية المنقذ المخلص في أدبياتها، ومن هذا المعين الانساني نهلت جميع المجموعات المظلومة ملامح تراثها العقدي في صراع الخير والشر، النور والظلمة، الحق والباطل، وهذا ما تجسد لنا في عديد النصوص عند مجمل المجموعات الانسانية والاسلامية التي احتاجت إلى بطل منقذ عندما ضاقت بها السبل، ورسمت صورة غلب عليها الطابع الأسطوري لمنقذها نسجها خيال أولئك المضطهدين في كل جماعة بشرية وليس عند المسلمين فقط. فكرة المخلص بحث في الفكر المهدوي- محمد الناصر صديقي (ص:١٨٣).

[2] انظر: جذور الفكر الباطني- خديجة آل هادي (٢٩،٩٣،١٤٣،٢٠٣).

الفرق الباطنية الحديثة

- **الأغاخانية:**

ترجع عقيدة الأغاخانية إلى الإسماعيلية النزارية، وقد ظهرت هذه الفرقة في إيران في الثلث الأول من القرن التاسع عشر الميلادي حينما ظهر شخص إسماعيلي اسمه "حسن علي شاه"، وكان للإنجليز مطمع في إيران في ذلك الوقت فاستعملوا "حسن علي شاه" في قيادة ثورة يهدد بها الأمن، ولكنه فشل في ثورته وقُبض عليه، فسارع الانجليز الى التوسط له بالأفراج عنه على أن يُنفى من إيران كلها، ثم اتجه إلى الهند عام ١٨٤٢م وسكن مدينة بمباي، وهناك اعترف به الانجليزي إماما على الطائفة الإسماعيلية وخلعوا عليه لقب "أغاخان" فانتسب الى الامام نزار من المنتصر

الفاطمي[1]. فتجمع حوله الإسماعيلية في الهند وفرحوا بظهور شأنهم بعد أن ظلوا مغمورين طوال هذه القرون وبظهور إمامهم الذي ظل في الستر والكتمان مئات السنين، فأخذ ينظم شؤونهم إلى أن توفي ١٨٨١م[2]. وخلفه ابنه علي شاه في إمامة الطائفة وعرف باسم أغاخان الثاني، ثم تولى محمد الحسيني شاه إمامة الطائفة عقب وفاة أبيه أغاخان الثاني عام ١٨٨٥م، وقد اهتم أغاخان الثالث بالتبشير بمذهب الاسماعيلي ودعوة الناس الى اعتناق عقائده [3]، وقد عجب الناس من تناقض شخصيته فهو إمام لطائفة دينية يعتقد أتباعه عصمته ورفعوه في التقديس إلى درجة الألوهية، ثم هو في الوقت نفسه لم يتحرج أن يأتي ما يتنافى مع كل دين من الأديان، ثم إن المعروف عنه أنه كان

---

[1] انظر: إسلام بلا مذاهب – مصطفى الشكعة (٢٤٨-٢٤٩).

[2] طائفة الإسماعيلية– محمد كامل حسين (ص:١١٣).

[3] انظر: الفرق الباطنية المعاصرة في الولايات المتحدة الأمريكية– أبو أمينة بلال فيلبس (٣٨-٣٩).

يسرف في لهوه ومسراته إلى درجة السفه، في الوقت نفسه كان يقتر ويبخل فلا يدفع مليما واحدا لغير ابناء طائفته(١)، وقد تولى حفيده "كريم" إمامة الإسماعيلية بعد وفاة جده محمد الحسيني شاه ١٩٥٧م ولقب بأغاخان الرابع. أما معتقد هذه الفرقة فهي في الغالب نفس معتقدات عامة فرق الإسماعيلية، ولما كانت الأغاخانية مجرد امتداد من الفرقة الإسماعيلية النزارية دانت بأفكارهم الخاصة من أهمها القول بأن الامام خلق من نور الله أو أن نور الله حل به(٢).

(١) انظر: طائفة الإسماعيلية- محمد كامل حسين (١١٩،١٢٥).

(٢) انظر: الفرق الباطنية المعاصرة في الولايات المتحدة الأمريكية- أبو أمينة بلال فيلبس (ص:٣٩). وقد ذكر الدكتور محمد كامل حسين أنه سأل الأغاخان الثالث "محمد الحسيني شاه" فقال له: لقد أدهشتني بثقافتك وعقليتك، فكيف تسمح لاتباعك أن يدعوك إله؟ فضحك طويلا ثم قال: "إن القوم في الهند يعبدون البقرة، ألست خيرا من البقرة!!". قال: فلم أحر جوابا بعد ذلك وخرجت من عنده وأنا أفكر في هذا الرجل الذي اعتقد فيه أتباعه الألوهية أو على الأقل أن نور الله حل به، وكان هو يعلم أنه ليس بإله، ولم يمسسه نور الله، ومع ذلك ترك أتباعه في اعتقادهم دون أن يرشدهم الى الحقيقة، وترك الناس يتقولون فيه الأقاويل، وهو يسخر من هؤلاء وهؤلاء، ويستمر في حياته التي اختارها لنفسه دون أن يجعل

● **البابية والبهائية:**

البابية والبهائية حركة نبعت من المذهب الشيعي الشيخي سنة ١٢٦٠هـ/١٨٤٤م تحت رعاية الاستعمار الروسي واليهودية العالمية والاستعمار الإنجليزي بهدف إفساد العقيدة الإسلامية وتفكيك وحدة المسلمين وصرفهم عن قضاياهم، فهي من الفئات الضالة الخارجة عن الإسلام بحكم إنكارهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، هو خاتم الأنبياء والمرسلين وادعائهم بأن روح الله عز وجل حلت في الباب أو البهاء وإنكارهم للعقوبات الإلهية وموالاتهم المستمرة لليهود وسعيهم الدائب لتهويد المسلمين، وإعلامهم أن كتابهم البيان قد نسخ القرآن الكريم. وقد صدرت الفتاوى من المجامع العلمية مثل مجمع الفقه الإسلامي بمكة ودار

لأحاديث الناس عنه أثرا أو يقيم لها وزنا. انظر: طائفة الإسماعيلية- محمد كامل حسين (١٢٦-١٢٧).

الإفتاء المصرية بخروج البهائية والبابية عن شريعة الإسلام واعتبارها حربًا عليه، وكفر أتباعها كفرًا بواحًا سافرًا لا تأويل فيه(١).

• القاديانية:

القاديانية حركة نشأت سنة ١٩٠٠م بتخطيط من الاستعمار الإنجليزي في القارة الهندية، بهدف إبعاد المسلمين عن دينهم وعن فريضة الجهاد بشكل خاص، حتى لا يواجهوا المستعمر باسم الإسلام، وكان مرزا غلام أحمد القادياني ١٨٣٩-١٩٠٨م أداة التنفيذ الأساسية لإيجاد القاديانية. ومن موجبات كفر الميرزا غلام أحمد ادعاؤه النبوة، ونسخه فريضة الجهاد خدمة للاستعمار، وإلغاؤه الحج إلى مكة وتحويله إلى قاديان، وتشبيهه الله تعالى بالبشر، وإيمانه بعقيدة التناسخ والحلول، ونسبته الولد إلى

(١) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (١/ ٤٠٩-٤١٤).

الله تعالى وادعاؤه أنه ابن الإله، وإنكاره ختم النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم وفتح بابها لكل من هبَّ ودبَّ[1].

[1] انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (١/ ٤١٦-٤١٩).

أثر الباطنية والأديان القديمة على حركة "العصر الجديد"

حركة "العصر الجديد" هي شبكة ضخمة جداً تتكون من أفراد وجماعات يحملون مبادئ ورؤى مشتركة، تقوم مبادئها على الفلسفات الباطنية الشرقية والغربية، وتتلخص رؤيتها في التطلع لعصر جديد تتحقق فيه الاستنارة العالمية. وليس المقصود بالفكر الباطني هنا ما سبق ذكره من التيارات التي تعتمد على التأويل في تعاملها مع النصوص المقدسة فحسب، إذ التأويل الباطني ليس هو الفيصل في تمييز الاتجاهات الباطنية التي لا يحدها مكان أو فترة زمنية، وإنما هو وصف يظهر عند الحاجة اليه، ولقد أشكل تحديد مفهوم الفكر الباطني الذي ظهر في صور متنوعة عبر فلسفات الشرق والغرب، والذي تجلى أخيرا في حركة "العصر الجديد" وذلك لما يكتنف التيارات الباطنية من غموض وسرية، ولأنها ليست ذات طابع ثابت، فقد تتبنى

عقائد وأفكارا متضاربة في الظاهر، ولكن عند التحقيق يتبين أن ثمة عقيدة ضمنية مشتركة بين تلك التيارات المختلفة تعتبر القاسم المشترك الذي يجمع بينها ويجعلها تصنف على أنها تيارات أو مذاهب أو حركات باطنية.

وقد ظهرت بوادر الفكر الباطني الغربي الحديث أو البذرة الأولى لحركة "العصر الجديد" مع نزوح الجاليات الأوروبية المهاجرة إلى الأرض الجديدة في أمريكا، حيث قدموا ببعض العقائد الخرافية والمعتقدات الاستسراريه من بلداهم في أوروبا، بالإضافة إلى ممارسات السحر والكهانة، إلا أن تلك المعتقدات لم يكتب لها التوسع والانتشار بسبب الضغط الذي واجهته من أتباع الكنيسة، وقد استمر ذلك الفكر بالتراجع والانحسار خاصة مع سيادة العقلانية العملية والالتفات الى العلوم التجريبية، إلا أنه ومع الأزمات والكوارث التي كانت تمر بها الدولة الوليدة، انتشر الاهتمام

بالثقافات البديلة والحركات الدينية الجديدة، والتي تعتبر سلفا مهما لحركة "العصر الجديد" والديانات الوثنية الحديثة.

وقد أسهم في نشأة حركة "العصر الجديد" بعض الحركات والفلسفات كالفلسفة المتعالية، والمذهب الروحي، والثيوصوفي، وحركة "الفكر الجديد"، وثقافة الهبي، وحركة "القدرات البشرية الكامنة"، بالإضافة الى مؤسسة فندهورن في شمال اسكتلندا. ويعتبر جي زي نايت، وبنجمن كريم، ودياك شوبرا، وديفيد سبانغلر، وإكهارت تولي، من أبرز الشخصيات المعاصرة لحركة "العصر الجديد". وتتمثل أبرز المصادر الخارجية لعقائد حركة "العصر الجديد" في الديانات الوثنية القديمة – الهندوسية، الطاوية، البوذية، الديانة المصرية القديمة والهرمسية–، والاتجاهات الباطنية في الفلسفة اليونانية، والغنوصية النصرانية واليهودية، بالإضافة إلى التصوف الاسلامي والديانات الوثنية الحديثة، وقد مهَّد

لموقف حركة "العصر الجديد" من الحقائق والقيم، تقلص سلطة الدين وسيادة النسبية الذاتية في الموقف الغربي من الأخلاق والقيم، كما هو ظاهر في مدرسة الرومانسية وفي الوجودية والحداثة. ومن أبرز معتقدات حركة "العصر الجديد" التي تنبني عليها ممارساتها وتطبيقاتها: "عقيدة وحدة الوجود" والذي رسخته بطرق عصرية متنوعة، كلها تفضي إلى إنكار وجود خالق مباين للعالم له وجود مستقل عنه. و" عقيدة تناسخ الأرواح" حيث تبنت عقائد منحرفة فيما يتعلق بمصير الأرواح البشرية، وعالم الأرواح وتحضيرها والتواصل معها. و"تأليه الانسان" وهو مرتبط باعتقادهم الأساس بوحدة الوجود، إذ الانسان في ذاته غير محدود وهو "إله" بالمعنى المطلق الإلحادي الذي يتبنونه. و"القول بالنسبية المطلقة في الحقائق والقيم" إذ الحركة تُعتبر امتداداً للفلسفات النسبية، فهي لا تعتقد بوجود حقيقة مطلقة، ولا قيم موضوعية، بل الكل عندهم ذاتي نسبي. وتقوم حركة

العصر الجديد بتمرير معتقداتها الباطنية من خلال بعض ما ينسب إلى العلوم النفسية كعلم نفس "ما بعد الذات"، والباراسيكولوجي المختصة بدراسة "الخوارق": كالتخاطر، والاستبصار، والتحريك عن بُعد، والتنبؤ، والمشي على الجمر، والخروج من الجسد، ومن خلال بعض التقنيات النفسية كالتأمل التجاوزي، والتنويم الايحائي. أما البرمجة اللغوية العصبية فتقنية مختلطة يحمل عدد من كبار رموزها فكر حركة "العصر الجديد" ويظهر أثر الحركة في كثير من تطبيقاتها. كما أن لحركة "العصر الجديد" تطبيقات متعددة في التداوي والاستشفاء قائمة على فلسفتها الباطنية، منها الريكي، والماكروبيوتك، واليوغا الهندوسية. وتسعى حركة "العصر الجديد" إلى إلغاء الهوية العقدية، والوطنية، وتشكيل مجتمعات "مثالية" يغيب فيها الاعتزاز بالدين، وعقيدة الولاء والبراء، من خلال شعارات المحبة والسلام، والأخوة الإنسانية، ويعد الاعلام من أهم الوسائل التي تنشر حركة

"العصر الجديد" فلسفتها وتطبيقاتها من خلالها، وتتمثل في وسائل الاعلام المقروءة: كالكتب، والصحف، والمجلات. ووسائل الاعلام المرئية: كالبرامج، والمسلسلات التلفزيونية، والأفلام السينمائية. كما ينتشر فكر حركة "العصر الجديد" وتطبيقاتها المتنوعة عبر شبكة الانترنت، حيث توجد مواقع ومنتديات متخصصة، تعمل على الترويج بتلك الأفكار والممارسات والتعريف بها، كما يظهر آثار حركة "العصر الجديد" في بعض ألعاب الفيديو الإلكترونية وتضمن معتقداتها الباطنية القصص المصاحبة لها[1].

---

[1] انظر: حركة العصر الجديد مفهومها ونشأتها وتطبيقاتها- هيفاء الرشيد (ص:٣٣،٣٤،١٥٣،١٥٤،٢٤٧،٢٩١،٣٤٥،٣٤٦،٣٤٧،٩١٨،٦١٩،٦٢٠).

الفصل الثالث

- حركات الإصلاح الديني في الغرب وأثرها على العالم الإسلامي
- أثر الاستشراق في القراءة الحداثية للنص القرآني
- الإلحاد في القديم والحديث

حركات الإصلاح الديني في الغرب وأثرها على العالم الإسلامي

كان للغلو في تعظيم العقل جذور قديمة، تبدأ من الفكر اليوناني مع ظهور الفلسفة الإغريقية، واستمر مسيطرا على الفكر الأوروبي قرونا عدة، حتى سيطرت الكنيسة على الوضع الأوربي العام فعطلت دور العقل لعشرة قرون تقريبا، وهي فترة ما يسمى بـ"العصور الوسطى المظلمة"[١]. وقد كان ما فعلته الكنيسة من ظلم وطغيان من تحريف الانجيل وما جاء فيه من عقيدة وشريعة، والتسلط والظلم في جميع الاتجاهات الدينية والعلمية والسياسية والمالية، كل ذلك أنتج صراعا قويا ضد الكنيسة ورجالها، بل ولدت تيارا ملحدا منكرا للدين محاربا أهله[٢]. يقول "ليكونت دي نوي": "إن ما أضافه الانسان إلى الديانة المسيحية،

---

[١] انظر: التطرف المسكوت عنه - ناصر بن يحيى الحنيني (ص:٢٠).

[٢] انظر: الحداثة في العالم العربي دراسة عقدية — محمد بن عبد العزيز العلي (ص:١٩٩).

والتفسيرات التي قدمها والتي ابتدأت منذ القرن الثالث، بالإضافة إلى عدم الاكتراث بالحقائق العلمية، كل ذلك قدم للماديين والملحدين أقوى الدلائل المعاضدة في كفائحهم ضد الدين"[1].

ففي عام ١٥١٧م، قام "مارتن لوثر" بثورة ضد كثير من العقائد وتعاليم رجال الدين ودعا إلى مذهب مسيحي جديد سمي فيما بعد بالمذهب اللوثري وهو ضمن المذاهب البروتستانتية المعارضة للكنيسة الكاثوليكية، وفي عام ١٥٣٦م قامت حركات بروتستانتية أخرى قادها "جون كلفن" ونشر مذهبه في جنيف، وأعلن عدم اعترافه بسلطة البابا، ودعا الى مخالفة الكنيسة الكاثوليكية. ومن النظريات التجريبية التي هزت الكنيسة، النظرية الفلكية لصاحبها "كوبرنيق" عام ١٥٤٣م، والتي تجعل الأرض مركز الكون

---

[1] الجفوة المفتعلة بين العلم والدين- محمد علي يوسف (١٥-١٩).

وجميع الأجرام السماوية تدور حولها، وفي بداية القرن السابع عشر الميلادي كان لهذه النظرية صدى واسع وأثر عميق راسخ في الفلسفة الأوروبية، مما افقد ثقه الناس بالكنيسة واشتد الصراع بين النصوص الكنيسة المحرفة والأدلة العقلية والنظرية المحسوسة، ومن أبرز المذاهب الثائرة في ذلك العصر مذهب "ديكارت" الذي نادى بتطبيق المنهج العقلي في الفكر والحياة، أما الدين عنده فإنه يختص بأخبار الآخرة ولا سلطة له على العلوم الأخرى، ثم اشتهر اليهودي "سبينوزا" بوضعه الأسس لمدرسة النقد التاريخي الذي ترى أن الأديان تراث بشري يجب أن يخضع للدراسة النقدية والأخذ والرد وليست وحيا إلهيا، كذلك من أشهر النظريات المخالفة لمنهج الكنيسة "نظرية الجاذبية" لصاحبها "إسحاق نيوتن" والتي كانت بمثابة النواة للمذهب الطبيعي، وأساس الفكر المادي الغربي، وظهرت في القرن الثامن عشر الميلادي فلسفات كثيرة ينادي بعضها بتقديس العقل على

أنه مصدر المعرفة، وبعضها ينادي بتقديس الطبيعة، وتتفق تلك الفلسفات على إنكار الوحي الإلهي أو التشكيك فيه، والثورة على تعاليم الكنيسة وقوانينها الظالمة، ومن أبرز دعاة ذلك العصر الالحادي: "جان جاك روسو"، "فولتير"، "ديدرو"، وغيرهم من الذين نادوا بتقديس العقل والطبيعة، وسمي ذلك العصر بعصر "التنوير". ثم جاءت الثورة الفرنسية ١٧٨٩م، والتي انتصر فيها الشعب على الكنيسة ومناصريها، وولدت دولة جمهورية لا دينية تقوم فلسفتها على الحكم باسم الشعب والجمهور وليس باسم الدين والكنيسة، ويقوم حكمها على قوانين وضعية بدلا من تعاليم الكنيسة التي اختلط فيها الوحي بكثير من الوضع، وتدعو إلى الحرية الشخصية في كل شيء، ومن أوائل ما عملته تلك الثورة المنتصرة مصادرة أموال الكنيسة وتسريح رهباها وإلغاء الجمعيات النصرانية ومحاربة عقائدها علانية باسم الدولة والقانون، وكان من أهم عوامل ذلك الانتصار

هو الطغيان الكنسي وانتشار النظريات المادية والإلحادية المتمردة على تعاليم الكنيسة، وكذلك لعب اليهود دورا عظيما، واستغلوا الفرصة لضرب الكنيسة التي كانت تعدهم أقليَّة ذليلة ليس لها حق المواطنة، وقد نجحوا في ذلك، ومن ثم كان لليهود صولة وجولة بسبب خططهم ودراساتهم النظرية والعملية للتخلص من رجال الدين النصراني ولتفردهم بزعامة العالم على حد زعمهم المكذوب، وعند ذلك برزت النظريات اليهودية والشيوعية والعلمانية وسائر الأفكار والعقائد الفلسفية التي دعت وتدعو إلى التمرد على الدين ورفض كل ما هو قديم وثابت وتنادي بتحديث الحياة في جميع مجالاتها الفكرية والاجتماعية والسياسية وغير ذلك من التحديث الذي يقوم على الصراع مع القديم والثابت من العقائد والمبادئ، وهذا الاضطراب الفكري والعقد النفسية والضياع الاجتماعي والنظريات الفلسفية الإلحادية

الثائرة على الدين ومصادره، هي المصدر الرئيس للحداثة في العالم الغربي ومن ثم انتقالها الى العالم العربي[1].

وقد بدأت تتجلى آثار الحضارة الغربية في أوضح صورها في الفكر الإسلامي حينما رغب "محمد علي" الذي حكم مصر إرسال بعثة علمية إلى فرنسا لتلقي العلوم الحديثة، وقد اختار "رفاعة الطهطاوي" إماما شرعيا لهذه البعثة والذي بلغ حد الانبهار مما عليه الغرب من التمدن، فدفعه ذلك فور عودته إلى السعي في توثيق العلاقة بين الغرب وديار الاسلام للوصول بالمسلمين الى التمدن المنشود، فبذر بذلك بذور التبعية للغرب، إلا أن طبيعة هذا الخلل النهضوي الأول، لم يكن خللا في الدين (الإيمان)، فهم كانوا مؤمنين بل ربما شديدي التعصب للإسلام، وإنما الخلل جاء من منحنى التبعية الحضارية المغلفة بتجديد

[1] انظر: الحداثة في العالم العربي دراسة عقدية – محمد بن عبد العزيز العلي (٢٠١-٢٠٨).

الاسلام وتحديث الفكر الديني، ومن محاولات إثبات مقولة أن الاسلام صالح لكل زمان ومكان، والتي أصبح معناها العلمي: أن الاسلام يتعايش ويخضع مع كل زمان ومكان، فكانت أزمة الشيخ "رفاعة الطهطاوي" تتلخص في أنه ابتعد إيمانيا عن فرنسا واقترب حضاريا إلى حد التبعية من فرنسا أيضا، وفشل في ممارسة عملية تفتيق الفكرة الإسلامية الأصيلة عن منهج جديد للبعث والنهوض، يجابه به التحدي الاستعلائي الأوروبي، واستسلم لمزلق تفصيل الفكر الاسلامي بما يناسب "الفكر الأوروبي الحديث"[(١)].

وفي النصف الثاني للقرن التاسع عشر الميلادي ظهر اتجاه يرى ضرورة الاستفادة من الحضارة الحديثة وفقا لمتطلبات وحاجات الحياة، بشرط تأسيسها وفق الأصول الإسلامية عن طريق التوفيق بين الدين والعلم والراعي والرعية والسلطة

---

(١) انظر: جذور الانحراف في الفكر الاسلامي الحديث - جمال سلطان (٨-٢٥).

والمواطن. وقد مثَّل هذا التيار: جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، وخير الدين التونسي، والكواكبي وعبد الله النديم وغيرهم[1]. وسميت نهضتهم هذه بالنهضة الإصلاحية، وكان لهذه المدرسة آراء كثيرة تخالف رأي السلف، وشطحات ما كانوا ليقعوا فيها لولا مبالغتهم الشديدة في تحكيم العقل في كل أمور الدين حتى جاوزوا الحق والصواب، وشكك بعض رجال الفكر الاسلامي الحديث في نزاهة المؤسِسَين لهذه المدرسة أعنى جمال الدين الافغاني وتلميذه محمد عبده، مستدلين على ذلك ببعض علاقاتهم وما ورد في كتاباتهم[2]. وقد قام أحد المعاصرين لمحمد عبده بتشبيه "الأفغاني ومحمد عبده" بلوثر مجدد البروتستانت فقال منتقدا لهما: فأراد المتزعمان للتجديد فيه أن يضعا أئمة الفقه المجتهدين مثل

---

[1] انظر: الليبرالية في السعودية والخليج دراسة وصفيه نقدية- وليد بن صالح الرميزان (ص:٦٦).

[2] منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير- فهد بن عبد الرحمن الرومي(ص:٧٠).

الامام أبي حنيفة وإخوانه في درجة الاجتهاد رضي الله عنهم وحاشاهم، موضع اللاعبين الأولين في الإسلام، وتشجعا لفتح الباب إلى هدم ما قاموا به، كما هدم لوثر ومساعده الكثلكة والأرثوذكس فأسسا البروتستانت، ولكن خان القياس للشيخين أيَّ خيانة فأبان ما في محاولتهما من الجناية[1].

ثم جاء الجيل الثالث بمعاركه، وهو جيل طه حسين، والعقاد، والرافعي، وهيكل، وشبلي شميل، وفرح أنطون، وأترابهم[2]. وذلك أنَّ الشيخ "محمد عبده" أراد أن يقيم سدًّا في وجه الاتجاه العلماني ليحمي المجتمع الاسلامي من طوفانه، ولكن الذي حدث هو أن هذا السدَّ قد أصبح قنطرة للعلمانية، عبرت عليه إلى العالم الإسلامي، لتحتل المواقع واحداً تلو الآخر، ثم جاء فريق تلاميذ محمد عبده

---

[1] موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين- مصطفى صبري (١٤٤-١٤٥).

[2] انظر: جذور الانحراف في الفكر الاسلامي الحديث - جمال سلطان (ص:١٢).

وأتباعه فدفعوا نظرياته واتجاهاته إلى أقصى طريق العلمانية، وتحت مظلة المدرسة الإصلاحية ظهر دعاة التحرر الفكري في الأدب والثقافة، وكان على رأسهم طه حسين عميد حركة التغريب، ومن ذلك حركة إنكار السنة جزئياً أو كلياً، أمثال أحمد امين، ومحمود أبو رية، وقد كانت آراء المدرسة الإصلاحية وآراء الاستشراق والمعتزلة هي المنهل الثرّ للعصرانيين الجدد أيضا، الذين دفعوا بمقولات هؤلاء أشواطاً بعيدة في التحرر وتطوير الدين والتفلُّت من ثوابته الأساسية[١].

وقد تحول هذا السلوك إلى منهج عند بعض أفراد الجماعات، فرفعوا شعارات ومصطلحات ضبابية وذات مضمون منحرف أحياناً كالتجديد، والتنوير، والثوابت

---

[١] انظر: العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب- محمد حامد الناصر (٦٩-٧١). وانظر أوجه الشبه بين العصرانية الحديثة والفلسفة الاعتزالية العقلانية القديمة: "العصرانيون ومفهوم تجديد الدين عرض ونقد"- عبد العزيز مختار إبراهيم (٢٨-٤٤).

والمتغيرات، وغير ذلك، ومن أمثلة الجماعات التي ساهم بعض رموزها في تعزيز هذا الاتجاه "جماعة الإخوان المسلمين" والجماعات المتفرعة عنها، وحزب التحرير، وهكذا المراكز والمؤسسات الفكرية التي شجعت على انتشار هذا الاتجاه العقلي كالمعهد العالمي للفكر الإسلامي، ومركز دراسات الوحدة العربية، بالإضافة إلى نماذج معاصرة تفاوتت في أخذها بهذا المنهج، كالشيخ محمد الغزالي رحمه الله، والدكتور محمد عمارة، والدكتور حسن الترابي، وأصحاب ما يسمى باليسار الاسلامي من أمثال محمد عابد الجابري، وحسن حنفي، ومحمد سليم العوا، ومحمود اسماعيل وغيرهم[١].

وتجد أن النظرة إلى الواقع وكيفية علاج ذلك الواقع يتنوع بحسب نشأة ذلك الكاتب ومدرسته، فمثلا ترى أنّ أبا

---

[١] انظر: نهج الاعتزال في الاتجاهات الفكرية المعاصرة – د. ظافر بن سعيد شرقه (٤٤-٤٥).

الأعلى المودودي في الباكستان طرحُهُ الفكري يختلف تماما عن طرح مالك بن نبي في الغرب، لأنّ ذاك نشأ نشأة معينة والآخر نشأ نشأة أخرى، فذاك متأثر بكلام المستشرقين وبالدراسات الاستشراقية وبفرنسا إلخ، فنظر بمنظور آخر، وأبو الأعلى المودودي ناتج من رأيه في كيفية الإصلاح للواقع وكيف ننهض بالمسلمين. وتجد أيضا أن أولئك المفكرين كلٌ يورد ما عنده بحسب طريقته فيختلفون في البداية ويختلفون في النهاية ويختلفون أيضًا في وسائل ذلك كل بحسب مدرسته وبحسب طريقته، ولهذا تتابعت مدارس الكتّاب الذين يقرأ لهم المفكر فتجد أنّ من الناس اليوم من يكتب كتابات فكرية متأثرا مثلا بمدرسة سيد قطب الفكرية، ومنهم من يكتب كتابات فكرية متأثرا بمدرسة المودودي الفكرية، ومنهم من يكتب كتابات فكرية متأثرا بمدرسة مالك بن نبي، متأثرا بمدرسة محمد قطب، متأثرا بمدرسة محمد البهي، أنور الجندي إلخ. والذي ينبغي أن

يُعلم أن المفكرين لا يجوز أنْ يتحكموا في مصير دعوة الله، فدعوة الله مرجعها الكتاب والسنة والذين يفقهون الكتاب والسنة هم الذين يتأهلون لأن يقودوا الدعوة، فالمفكر ينبغي أنْ يقف عند ما حُدّ له فإذا جاوز ذلك فإنّ مجاوزته عليه لا له، فكتابات المفكرين الذين يكتبون الكتابات المختلفة من الموجودين المعاصرين أو ممن توفاهم الله جلّ وعلا يجب أنْ يوضعوا في مكانهم الصحيح وأن لا تكون تلك الكتابات حَكما ولا مدرسة ولا قيادة وإنما هي شواهد وأفكار يقبل منها ويرد [١].

[١] انظر: الفكر والعلم- صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (ص:٨،١٦،١٧،٣١،٣٢).

أثر الاستشراق في القراءة الحداثية للنص القرآني

لا يعرف بالضبط من هو أول غربي عني بالدراسات الشرقية ولا في أي وقت كان ذلك، ولكن المؤَكَّد أنَّ بعض الرهبان الغربيِّين قصدوا الأندلس في إبَّان عظمتها ومجدها، وتثقَّفُوا في مدراسها، وترجموا القرآن والكتب العربية إلى لغاتهم، وتتلمذوا على علماء المسلمين في مختلف العلوم وبخاصة في الفلسفة والطب والرياضيات. ولم ينقطع منذ ذلك الوقت وجود أفراد درسوا الإسلام واللغة العربية، وترجموا القرآن وبعض الكتب العربية العلميَّة والأدبية، حتى جاء القرن الثامن عشر، وهو العصر الذي بدأ فيه الغرب في استعمار العالم الإسلامي والاستيلاء على ممتلكاته فإذا بعدد من علماء الغرب ينبغُون في الاستشراق، ويصدرون لذلك المجلاَّت في جميع الممالك الغربية، ويغيرون على المخطوطات العربية في البلاد العربية والإسلامية، فيشترونها من أصحابها

الجهلة، أو يسرقونها من المكتبات العامة التي كانت في نهاية الفوضى، وينقلونها إلى بلادهم ومكتباتهم، وإذا بأعداد هائلة من نوادر المخطوطات العربية تنتقل إلى مكتبات أوروبا، وقد بلغت في أوائل القرن التاسع عشر مائتين وخمسين ألف مجلداً، وما زال هذا العدد يتزايد حتى اليوم. وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر عقد أول مؤتمر للمستشرقين في باريس عام ١٨٧٣م، وتتالى عقد المؤتمرات التي تلقى فيها الدراسات عن الشرق وأديانه وحضارته وما تزال تعقد حتى هذه الأيام[١]. وكان الهدف من محاولات المستشرقين وجهودهم في الدراسات التي قاموا بها في هذه المناطق كلها هو تطويق المد الإسلامي، والعمل على انحساره ووقف نموه المطرد بين أبناء هذه الشعوب المتباعدة، وإن كانت أعمالهم تبدو في معظم أحوالها في ثوب علمي أو أكاديمي، فإن ذلك ينبغي ألا يحجب عن أعيننا نواياهم الخفية التي صرح

---

(١) انظر: الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم- مصطفى السباعي (١٧-١٩).

بها معظمهم في المؤلفات والمؤتمرات العلمية التي كانت تعقد بين الحين والحين لهذا الغرض[1].

لقد استطاع المفكرون الغربيون الوصول إلى نتائج قيمة عند قراءاتهم النقدية لأسفار العهد القديم وأسفار العهد الجديد، والتي تشكل الكتاب المقدس، وقد استعملوا في دراستهم لهذه الأسفار مناهج جديدة ظهرت في زمن كان فيه الصراع كبيرا بين الكنيسة والعلم، ومن بين المناهج التي استعملوها المنهج الألسني والتاريخي والهرمينوطيقي(التأويلي أو التفسيري)، ومناهج أخرى، وحاول المستشرقون تطبيق هذه المناهج السالفة الذكر لقراءة التراث الإسلامي بما في ذلك النص القرآني، والحداثيون العرب واكبوا ما أنتجه الغرب من آليات ونظريات ومناهج إنسانية واجتماعية، وأخذوها كما هي وأرادوا إسقاطها على قراءة النص القرآنيّ دون مراعاة

---

[1] انظر: الاستشراق والتبشير- محمد السيد الجليند (١٠-١١).

خصوصيات النصوص، فالنص التوراتي والإنجيلي الذي دُوِّن خلال فترات زمنية طويلة، والمخطوطات الموجودة لهذه الأسفار، كلها عبارة عن ترجمات قام بها مجهولون، فنصوص العهد القديم والعهد الجديد الأصلية ضاعت، وهي مختلفة اختلافا بيِّنا مع النص القرآني المعلوم السند والمدون لحظة نزوله[1].

ولهذا كانت النظرية الحديثة في نسختها العربية في قراءتها للنصوص الشرعية هي محاولة لنقل الصراع التاريخي بين طريقة فهم الكنيسة للنصوص المقدسة وبين طريقة فهم عصر الأنوار، ونقل ذلك كله إلى ساحة النصوص

[1] انظر: أثر الاستشراق في القراءة الحداثية للنص القرآني- مجلة النص (المجلد٦العدد١ ص:٩٥). ومن المناهج التي استخدمها المستشرقون في الدراسات الإسلامية: المنهج التحليلي، والمنهج الإسقاطي، ومنهج الأثر والتأثر، ولم يكونوا منصفين في تطبيق هذه المناهج وانما اتخذوا أساليب متعددة لتحقيق هذه المناهج وهي: الأسلوب الانتقائي، والتحريف وقلب الحقائق، والكذب والاختلاق، والاعتماد على الفرضيات والتخمين، مع ادعاء الموضوعية والتجرد. انظر: علم الملل ومناهج العلماء فيه- أحمد بن عبدالله جود (٣٥١-٣٦٥).

الإسلامية وهذا النقل هو في الحقيقة إسقاط الواقع الغربي على الواقع الاسلامي بدون مراعاة للظروف الدينية والاجتماعية الفاصلة بين ذلك، فالنقل المنهجي هنا نقل مع اختلاف الوضع والمبرر[1].

وأول المناهج التي وظفها الفكر الحداثي في قراءة النص القرآني: المنهج الألسني، الذي نشأ كعلم في الغرب وانتشر استعماله في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ومن رواده نصر حامد أبو زيد، ومحمد شحرور، ومحمد أركون. وثاني المناهج التي اعتمدها الخطاب الحداثي المعاصر: المنهج التاريخي أو الذي يسميه البعض بالتاريخية، وهذا مذهب يقرر أن كل حالة اجتماعية مرتبطة بالتاريخ، وأن القواعد الاجتماعية هي نتاج للعقل الجمعي، ويدخل في هذا: الشرائع الإلهية، ومن رؤوس الحداثيين الذي طبقوا هذا المنهج في قراءة النص

[1] انظر: ظاهرة التأويل الحديثة في الفكر العربي المعاصر- خالد بن عبد العزيز السيف(ص:٤٤٦).

القرآني حسن حنفي، الذي أراد أن يحدث قطيعة مع العقيدة الإسلامية أي مع جوهر الدين وأصوله وثوابته[1].

لقد تأثر الحداثيون العرب بالمستشرقين في دراستهم للنصوص الشرعية، ما جعل الحداثيين يظهرون كمستشرقين في ثوب حداثي يجترون كلام من سبقهم بأسلوب ولغة عربية، ولم يكن الحداثيون أمناء في نقل أفكار غيرهم، بل تبنوها لكن بصيغ أخرى حتى لا يقال تأثروا بغيرهم، وتبين أنهم مقلدة للغرب في كل ما يدعون إليه، رغم إنكارهم على المسلمين تقليد سابقيهم[2].

---

[1] انظر: أثر الاستشراق في القراءة الحداثية للنص القرآني- مجلة النص (المجلد٦العدد١ ص:٩٦-٩٧)، ظاهرة التأويل الحديثة في الفكر العربي المعاصر- خالد بن عبد العزيز السيف (١٧٦-٢٢٠).

[2] انظر: أثر الاستشراق في القراءة الحداثية للنص القرآني- مجلة النص (المجلد٦العدد١ ص:٩٩-١٠٠).

الإلحاد في القديم والحديث

الإلحاد هو: مذهب فلسفي يقوم على فكرة عدمية أساسها إنكار وجود الله الخالق سبحانه وتعالى، فيدّعي الملحدون بأن الكون وجد بلا خالق، وأن المادة أزلية أبدية، وهي الخالق والمخلوق في نفس الوقت. والإلحاد بدعة جديدة لم توجد في القديم إلا في النادر في بعض الأمم والأفراد[١].

ففي عصور اليونان المتسمة بالحركات العلمية الواسعة والفلسفات المطلقة الحرة، التي في حريتها لم تعرف الحدود، كان القول بإنكار البارئ سبحانه وتعالى لا يكاد يسمع له صوت بين الفلاسفة والمفكرين ورجال السياسة والحكم، غير أن هذا لا يعني أنه ليس هناك في تلك العصور السحيقة فلاسفة ومفكرون اعتنقوا مذهب الالحاد، وأعلنوا إنكار وجود البارئ سبحانه وتعالى، بل كان في فجر

---

[١] انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/ ٨٠٣).

وعنفوان الفلسفة الإغريقية مفكرون دانوا بمذهب الالحاد فانكروا وجود الله، وكان على رأس هؤلاء الملحدين الفيلسوف اليوناني "ديمقريطس" صاحب المذهب الذري الذي كان عهده يرجع إلى حوالي ثمانمائة سنة قبل الميلاد، حيث زعم هذا الفيلسوف أن الكون مادة وحركة، وأنه مؤَلَف من ذرات متجانسة، وأن هذه الذرات أزلية لا أول لها ومتحركة بذاتها منذ الأزل، غير أن هذا المذهب الالحادي قُضي عليه قضاء تاما في مطلع حياته، حيث تصدى له فلاسفة يونانيون آخرون فأخرسوا صوته، وكان في مقدمة هؤلاء الفلاسفة الفيلسوف "اناكساغورس" الذي كان يعاصر "ديمقريطس" مؤسس هذا المذهب الالحادي، ثم تتابع من بعد "اناكساغورس" تلاميذُ مدرسته في محاربة الالحاد أمثال سُقراط وبعده أفلاطون ثم أرسطو وغيرهم، فهؤلاء (وهم أشهر فلاسفة اليونان) وإن كانوا قد خلطوا وخبطوا حول القول بقدم العالم وتخطي الحدود في الحديث

عن كنه ذات الباري سبحانه وتعالى، إلا أنهم دافعوا دفاعا مجيدا عن فكرة وجود الباري سبحانه وتعالى، فتلاحمت فلسفاتهم بهذا الصدد حتى أهالوا التراب نهائيا على مذهب ديمقريطس الذري الالحادي الذي نسيه الناس طيلة تلك القرون التي شهدت في بلاد اليونان أعظم حركة فلسفية في تاريخ العالم. ثم كان للإلحاد ظهور في العصر الروماني على يد الفيلسوف "لوقريطس" الروماني الذي حاول في أوائل القرن الأخير قبل الميلاد إحياء مذهب "ديمقريطس" اليوناني، فردد مزاعمه وزعم أن الروح والعقل إنما هو نتاج مادي بحت، ثم أنكر أن يكون هناك خالق لهذا الكون، إلا أنَّ صوت هذا الفيلسوف الروماني سرعان ما انقطع حيث أسكته الفلاسفة الرومانيون الذين كانوا يدينون بالفلسفة الأفلاطونية الأرسطوية التي أخذت على عاتقها محاربة فلسفة الالحاد التي حاول فيلسوف الالحاد الأول "ديمقريطس" نشرها. وفي عهود الوثنية عبر العصور الجاهلية

العربية لم يكن للإلحاد صوت بينهم، بل لقد كانوا يؤمنون بوجود الله تعالى ولم يقل أحد منهم بإنكاره[1]. وربما كانت هناك في التاريخ العربي أدلة على وجود ملحدين قبل الاسلام باسم آخر وهو "الدهريون" الذين كانوا يعتقدون بقدم العالم وأن العالم لا أول له، ويذكرهم القرآن بقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ٢٤﴾ [الجاثية: ٢٤]. وفي عصر الثورة الصناعية أصبح الالحاد علماً ومنهج حضارة وفلسفه يبشر بها، ولم يعد سلوكا فرديا ولا حتى سلوكا جماعيا عارضا، ثم كان عصر "كارل ماركس" و"تشارلز داروين" و"فريدرك نيتشه" و"سيغموند فرويد" الذين بدأوا بتحليل الظواهر العلمية والنفسية والاقتصادية والاجتماعية بطريقة لم يكن لفكرة الخالق الأعظم أي دور فيها، وساهم في هذه الحركة الموقف الهش للديانة المسيحية في القرون الوسطى وما

---

[1] انظر: كيف نحارب الإلحاد؟ - محمد با شميل (٥-٨).

تلاها، نتيجة للحروب والجرائم والانتهاكات التي تمت في أوروبا باسم الدين نتيجة تعامل الكنيسة الكاثوليكية بما اعتبرته هرطقة أو خروجا عن مبادئ الكنيسة. وبدأت تدريجيا وخاصة على يد الفيلسوف الألماني آرثر شوبنهاور" ١٧٨٨- ١٨٦٠م" بروز فكرة أن الدين هو من صنيعة البشر ابتكروها لتفسير ما هو مجهول لديهم من ظواهر طبيعية أو نفسيه أو اجتماعيه، وتزامنت هذه الأفكار مع أبحاث "تشارلز دارون" الذي كان مناقضا تماما لنظرية نشوء الكون في الكتاب المقدس، وأعلن "فريدرك نيتشه" من جانبه موت الخالق الأعظم[1]. وفي تقرير نشرته صحيفة الغارديان البريطانية بعنوان "العالم يزداد تديناً، لأن الفقراء يتجهون إلى الله"، يشير الكاتب إلى أن ثلاثة من أبرز مفكري القرن التاسع عشر، هم نيتشه وماركس وفرويد،

---

[1] انظر: الالحاد في العصر الحاضر وموقف العقيدة الإسلامية منه - عبد العزيز سعد المحمدي (٤٩-٥١).

كانوا تنبأوا بانقراض الدين في القرن العشرين، لكن ما حدث كان مخالفاً تماماً لكل تلك التوقعات، فبدل أن يكون القرن العشرين مقبرة للمفهوم الديني بكافة أشكاله، كان القرن الأكثر نجاحاً للديانتين المسيحية والإسلام، على صعيد زيادة العدد. وكانت فرضية العلمنة مجرد أسطورة أوروبية، وجزء من ضيق الأفق الذي يظهر مدى ضيق نظرتنا للعالم(١).

فالحركات الإلحادية في التاريخ لا تكتسب أتباعاً كُثراً؛ وإن اعتبرها البعض من صغار العمر مزيجاً من حركة التمرد والإحساس بالتفوق الفكري على الآخرين، إلا أنَّها عاجزة عن التغلب على الرسالة القوية للأديان وهي ربط الناس بشيء أكبر منهم، وحاجتهم الماسّة للروحانية التي تخفف عليهم ثقل أجسادهم التي يحملونها معهم أينما ذهبوا، بينما

(١) انظر: صحيفة الغارديان البريطانية في عددها الصادر الخميس ٢٦ مايو ٢٠١٦م.

الأديان تمنح الأمل والرجاء للناس. وعندما كان الاتحاد السوفياتي يُجبر الناس على الإلحاد بالإكراه وعدم إظهار طقوسهم، تحولت مشاهد العزاء إلى مناسبات مفرغة وعدمية ومؤلمة، ولهذا انهارت هذه الظاهرة سريعاً بعد تفكك الاتحاد، وعادت الكنيسة الأرثوذكسية بشكل أقوى وأكبر من السابق. وهكذا تزايد أعداد المساجد والمسلمين في أوروبا التي تَضاعف فيها العدد خلال العقود الأخيرة[١].

إلا أنه ومع تزايد دعوات الإلحاد، وانتشار المواقع والمنتديات على شبكة المعلومات، وإفراد الصفحات على مواقع التواصل الاجتماعي، وتخصيص البرامج الحوارية حلقات كاملة لعرض قضايا الإلحاد، بالإضافة إلى البحث الذي نشره معهد غالوب الدولي وصدر تحت عنوان "مؤشر عام حول الدين والإلحاد" نشرته صحيفة الواشنطن بوست وجاء

[١] انظر: مقال تحت عنوان: "حركات الإلحاد هزيلة ولكنّ المتطرفين يستغلونها" نشرته العربية في: ١٨ فبراير ,٢٠٢٤م.

فيه تزايد نسبة الإلحاد في معظم الدول العربية[1]، كل ذلك يستدعي العناية بالدعوة إلى التوحيد وإخلاص الدين لله، والتصدي لشبهات الملاحدة، وكذلك العمل لخير الإنسانية الطيبة الطاهرة التي هي بحق البديل الصالح للنفسية الإلحادية الخبيثة المدمرة التي تعيش القلق والأنانية[2].

*****

هنا تنتهي فصول هذا الكتاب ولا تنتهي معه ورود كثير من التساؤلات والخواطر التي ربما اعترت كثيرا من الأذهان. أتينا على القليل وتركنا الكثير، وبالرجوع إلى المصادر سيكثر القليل ويروى الغليل.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(١) انظر: خلاصة العتاد في مواجهة الإلحاد- أحمد خالد الطحان (٤-٥).

(٢) انظر: الالحاد في العصر الحاضر وموقف العقيدة الإسلامية منه - عبد العزيز سعد المحمدي (١٧٢-١٧٤).

المحتويات

